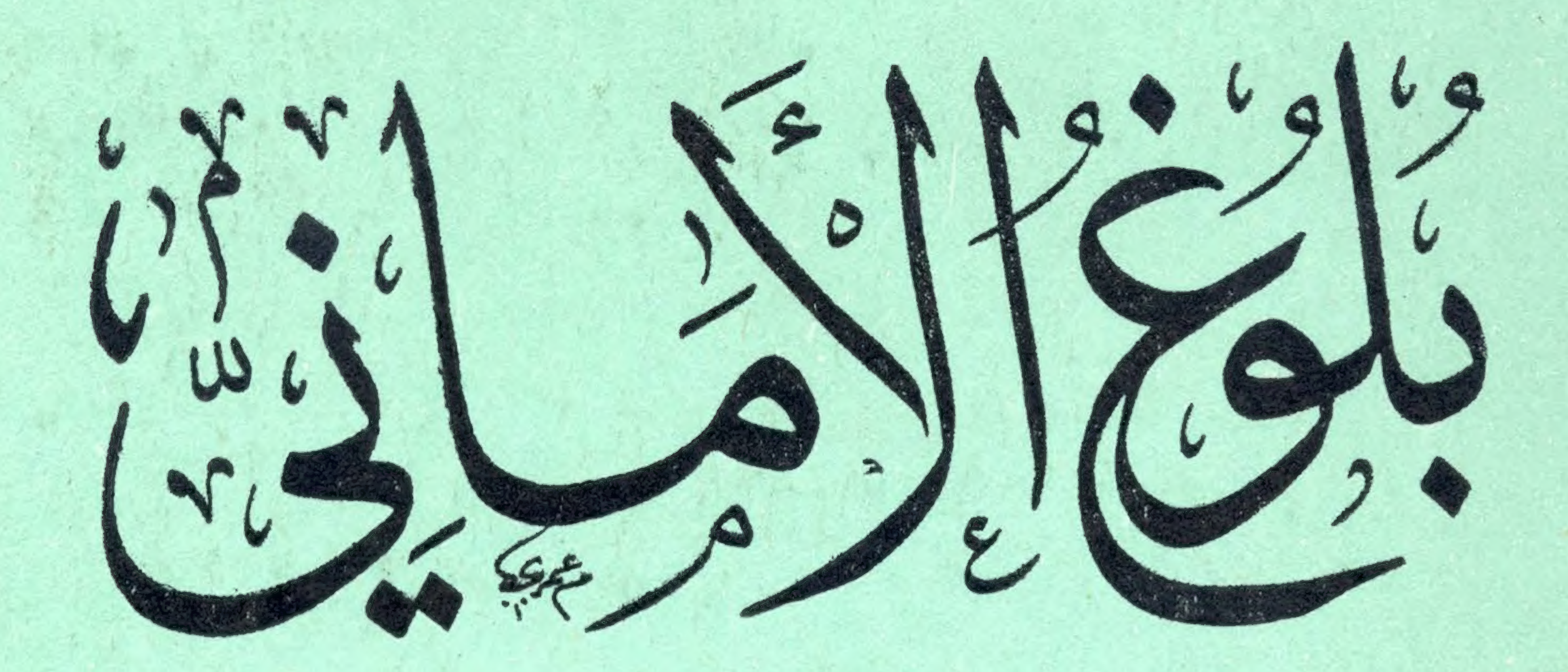
من تراث الكوثري
(٩)



في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني
رضي الله عنه



تاليف
محمد زاهد بن الحسن الكوثري
وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

١٤١٨ هـ — ١٩٩٨ م

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

من تراث الكوثرى

(٩)

بلوغ الأمانى

فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

رضى الله عنه

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل بعض الفقهاء على بعض . أرشد طوائف منهم الى وجوه الفرق فيما بين الواجب والفرض . ووسع مداركهم فى دقائق المسائل ، وانار عقولهم إلى تعرف مراتب الدلائل . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحنيفية السمحة البيضاء . وعلى آله المطهرين الأصفياء . وصحبه القادة الأتقياء . ما انفتقت قرائح الفقهاء لاستنباط أحكام الشريعة الغراء .

وبعد ، فان تاريخ الفقه يشهد بأن الكتب المؤلفة فى مذاهب الأئمة المتبوعين من المدونة والحجة والأم وما بعدها إنما ألفت على ضوء كتب ذلك الإمام العظيم أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه ، ولم تزل كتبه بأيدى الفقهاء من كل مذهب قبل حلول قرون التقليد البحت يتداولونها ويستفيدون منها تقديراً منهم لما امتازت به — على سبقها — من رصانة فى التعبير ، ووضوح فى البيان ، وإحكام فى التأصيل ، ودقة فى التفريع مع التدليل على مسائل ربما تعزب أدلتها عن علم كثير من الفقهاء من أهل طبقته فضلا عمن بعدهم ، على توسعها فى توليد المسائل فى الأبواب بحيث ينبىء عن تغلغل مؤلفها فى أسرار العربية ويده البيضاء فى اكتشاف أسرار التشريع ، من غير أن تظهر على كلامه شهوة الانفراد والشذوذ عن الفقهاء عندما يناقشهم فى آرائهم ، ولا التحيل والتشغيب فى سبيل الدعوة إلى آراء استبانت له بخلاف ما ابتلى به كثير ممن ينتمى إلى الفقه . بل ينوه بفضل شيوخه عليه ويسجل أقوالهم فى مؤلفاته عرفانا منه لجميلهم ، ولم يغره اتساع علمه بل زاده اخلاصا إلى إخلاص فكافأه الله سبحانه على ذلك بأن بارك فى علمه حتى أصبحت كتبه لحمة الكتب المدونة فى جميع المذاهب بدون مغالاة ، وأدام الانتفاع بكتبه مدى القرون .

وأنت ترى أنه لم يصل الينا من أى فقيه فى طبقته أو فى طبقة تقارب طبقته ، كتب فى الفقه قدر ما وصل الينا من مؤلفاته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد جمعت فى هذه الأوراق ما يسهل نقله ولا يحسن جهله من سيرة ذلك الإمام الجليل عرفانا لجميله ، وإنارة لبعض النواحى من تاريخ الفقه ، وإثارة لاهتمام أهل الشأن باحياء مآثره ، وسميت هذه العجالة (بلوغ الأمانى فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى) جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

نسبه ومولده ومنبت أرومته

هو الإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى نسباً على ما ذكره الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى الشافعى فى كتاب التحصيل فى أصول الفقه ، وأقره الجلال السيوطى فى (جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب) وغالب أهل العلم على أنه شيبانى ولاء ولا نسباً والله أعلم . وغلط من قال فى جده واقد بدل فرقد وقد ترجم ابن عساكر لوالده فى تاريخ دمشق ووصفه بالغنى والثروة . وقال القاضى أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز البصرى — شيخ الإمام أبى جعفر الطحاوى — : محمد بن الحسن . أصله من قرية قرب الرملة بفلسطين أعرفها وأعرف قوما من أهلها ، ثم انتقلوا إلى الكوفة اهـ . أخرجه أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى بسنده اليه فى كتابه (أخبار أبى حنيفة وأصحابه) .

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدى فى الطبقات الكبرى : محمد ابن الحسن ، أصله من الجزيرة وكان أبوه فى جند الشام فقدم واسط فولد محمد بها سنة اثنتين وثلاثين ومائة اهـ . وهو الصحيح فى ميلاده

وعليه أطبقت كلمات من ورخه من الأقدمين ، وأما ما حكاه ابن عبد البر فى الانتقاء ونقله ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) من أنه ولد سنة خمس وثلاثين ومائة فسهو محض . وقال الخطيب فى تاريخ بغداد : محمد بن الحسن ، أصله دمشقى من أهل قرية تسمى حرستا (بمهملات بفتحتين فسكون قرية مشهورة بغوطة دمشق) قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط ونشأ بالكوفة اهـ .

ولعل الصواب أن أصله ، من الجزيرة — من منتجع بنى شيبان من ديار ربيعة — ثم صار والده فى جند الشام ، وأثرى فأقام أهله مرة فى حرستا ومرة بقرية فى فلسطين وكلتاهما من أرض الشام ، ومن هناك انتقلوا إلى الكوفة وفى أثناء إقامة أبويه بواسط لأجل عمل كان والده تولاه بها ولد محمد ثم عادوا إلى الكوفة وبها كانت نشأته والله أعلم .

مبدأ أمره واتصاله بأبى حنيفة

كان محمد بن الحسن رحمه الله ذكيا متقد الذهن ، سريع الخاطر ، قوى الذاكرة ، ذا نفس وثابة إلى المعالى ، جميل الخلق والخلق للغاية ، سمينا خفيف الروح ، ممتلئاً صحة وقوة . نشأ فى بلهنية العيش ببيت والده السرى المثرى بالكوفة .

ولما بلغ سن التمييز تعلم القرآن الكريم وحفظ منه ما تيسر له حفظه وأخذ يحضر دروس اللغة العربية والرواية وكانت الكوفة إذ ذاك مهد العلوم العربية ، ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة واتخذها على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة . ولما بلغت سنه أربع عشرة سنة حضر مجلس أبى حنيفة ليسأله عن مسألة نزلت به . فسأله قائلا : ما تقول فى غلام احتلم بالليل بعد ما صلى العشاء ؟ هل يعيد العشاء . قال : نعم ! فقام وأخذ نعله وأعاد العشاء فى زاوية المسجد .

وهو أول ما تعلم من أبي حنيفة فلما رآه يعيد الصلاة أعجبه ذلك وقال : إن هذا الصبي يفلح إن شاء الله تعالى . وكان كما قال ، ثم ألقى الله سبحانه في قلبه حب التفقه في دين الله بعد أن رأى جلال مجلس الفقه فعاد إلى المجلس يريد التفقه فقال له أبو حنيفه : استظهر القرآن أولا . لأن المتفقه على طريقة أبي حنيفة في حاجة شديدة إلى ذلك لأنه مادام الاحتجاج بالقرآن ميسوراً لا يعدل عنه إلى حجة سواه وله المنزلة الأولى في الحجة عنده حتى إن عموماته قطعية فيما لم يلحقه تخصيص .

ويظهر أن محمد بن الحسن لم يكن إذ ذاك جيد الاستظهار للقرآن فغاب سبعة أيام ثم جاء مع والده وقال : حفظته . وسأل أبا حنيفة عن مسألة فقال له أبي حنيفة : أخذت هذه المسألة من غيرك أم أنشأتها من نفسك ؟ فقال محمد : من عندي فقال أبو حنيفة : سألت سؤال الرجال ، أدم الاختلاف الينا والى الحلقة . ومن ذلك الحين أقبل محمد بن الحسن الى العلم بكليته يلازم حلقة أبي حنيفة ، ويكتب أجوبة المسائل في مجلسه ويدونها وبعد أن لازمه أربع سنين على هذا الوجه مات أبو حنيفة رضي الله عنه ثم أتم الفقه على طريقة أبي حنيفة عند أبي يوسف هذا ما يتعلق بفقه أبي حنيفة .

وأما الحديث فقد سمعه من أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من مشايخ كثيرة بالكوفة والبصرة والمدينة ومكة والشام وبلاد العراق بل جمع إلى علم أبي حنيفة وأبي يوسف علم الأوزاعي ، والثوري ، ومالك رضي الله عنهم حتى أصبح إماما لا يبلغ شأوه في الفقه قويا في التفسير والحديث حجة في اللغة باتفاق أهل العلم ممن لم يصب بتعصب وهو القائل ورثت ثلاثين ألفا فصرفت نصفها في اللغة والشعر والنصف الآخر في الفقه والحديث كما صح ذلك عنه بطرق .

ويعلم مبلغ انصرافه إلى العلم مما رواه الذهبي في جزئه الذي ألفه في ترجمة محمد بن الحسن ، وابن أبي العوام الحافظ عن الطحاوي

عن أبى خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة أنه قال : كان محمد بن الحسن قد انقلع قلبه من فكره فى الفقه حتى كان الرجل يسلم عليه فيدعو له محمد فيزيده الرجل فى السلام فيرد عليه ذلك الدعاء بعينه الذى ليس من جواب الزيادة فى شىء ، ومما رواه أبو خازم أيضا قال حدثنى ابن بنت محمد بن الحسن قال قلت لأمى صفى ما كان جدى يعمل فى منزله قالت : كان والله يابنى يكون فى هذا البيت وحوله الكتب ما كنت أسمع له كلمة غير أنى كنت أراه يشير بحاجبه واصبعه ٠ وذكر الذهبى فى جزئه والصيمرى والخطيب بسندهما عن محمد بن سماعة أنه قال : ان محمد بن الحسن قال : لأهله لا تسألونى حاجة من حوائج الدنيا تشغلوا قلبى ، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلى فانه أقل لهمى وأفرغ لقلبى ا هـ ٠ ومن خصه الله سبحانه بمثل تلك المواهب وأقبل إلى العلم هذا الاقبال وأخلص هذا الاخلاص لابد وأن تثمر مساعيه هذا الاثمار رضى الله عنه ونفعنا ببركات علومه ٠

شيوخه فى الحديث

أما مشايخه فى الحديث :

فمن أهل الكوفة أبو حنيفة ، واسماعيل بن أبى خالد الأحمسى ، وسفيان بن سعيد الثورى ، ومسعر بن كدام ، ومالك بن مغول ، وقيس ابن الربيع ، وعمر بن ذر ، وبكير بن عامر ، وأبو بكر النهشلى عبد الله بن قطاف ، ومحل بن محرز الضبى ، وأبو كدينة يحيى بن المهلب البجلى ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودى ، واسرائيل بن يونس ، وبدر بن عثمان ، وأبو الاحوص سلام بن سليم ، وسلام بن سليمان ، وأبو معاوية الضرير محمد بن خازم ، وزفر بن الهذيل ، وأبو يوسف القاضى ، واسماعيل بن ابراهيم البجلى ، وفضيل بن غزوان ، والحسن ابن عمارة ، ويونس بن أبى اسحاق السبيعى ، وعبد الجبار بن العباس الهمدانى ، ومحمد بن أبان بن صالح القرشى ، وسعيد بن عبيد الطائى ، وأبو فروة عروة بن الحارث الهمدانى ، وأبو زهير العلاء بن زهير ٠

ومن أهل المدينة مالك بن أنس ، وابراهيم بن محمد بن أبى يحيى ، وعبيد الله بن عمر بن حفص العمرى ، وأخوه عبد الله ، وخارجة بن عبد الله بن سليمان ، ومحمد بن هلال ، والضحاك بن عثمان ، واسماعيل ابن رافع ، وعطاف بن خالد ، واسحاق بن حازم ، وهشام بن سعد ، وأسامة بن زيد الليثى ، وداود بن قيس الفراء ، وعيسى بن أبى عيسى الخياط ، وعبد الرحمن بن أبى الزناد ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب ، وخثيم بن عراك •

ومن أهل مكة سفيان بن عيينة الكوفى نزيل مكة ، وزمعة بن صالح ، واسماعيل بن عبد الملك ، وطلحة بن عمرو ، وسيف بن سليمان ، وابراهيم بن يزيد الأموى ، وزكريا بن اسحاق ، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن يعلى الثقفى الطائفى •

ومن أهل البصرة أبو العوام عبد العزيز بن الربيع البصرى ، وهشام ابن أبى عبد الله ، والربيع بن صبيح ، وأبو حرة واصل بن عبد الرحمن ، وسعيد بن أبى عروبة ، واسماعيل بن إبراهيم البصرى ، والمبارك بن فضالة •

ومن واسط عباد بن العوام ، وشعبة بن الحجاج ، وأبو مالك عبد الملك النخعى •

ومن أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعى ، ومحمد بن راشد المكحولى ، واسماعيل بن عياش الحمصى ، وثور بن يزيد الدمشقى •

ومن خراسان عبد الله بن المبارك •

ومن أهل اليمامة أيوب بن عتبة التيمى وغير هؤلاء من أهل تلك البلاد وغيرها ولم يزهد فى الرواية عن أقرانه وعمن هو دونه كما هو شأن الأكابر فى روايتهم عن الأصاغر •

بعض أصحابه وتلاميذه وجملة ممن أخذ عنه

ولما طار صيت محمد بن الحسن في الآفاق وسارت بتصانيفه الركبان قصده أناس من أقاصي البلدان للتفقه عنده حيث كان بلغ أعلى مراتب الاجتهاد وإن كان يحافظ على انتسابه لأبي حنيفة النعمان عرفانا لجميل يده عليه في الفقه ، ولم يضع استمراره على انتسابه هذا من مرتبته إلا عند من لا يعرف مراتب الرجال .

ويصعب استقصاء من تخرج به فنكتفي هنا بذكر جملة من أصحابه وتلاميذه ليعلم أنه شيخ المجتهدين في عصره : فمنهم أبو حفص الكبير البخاري أحمد بن حفص العجلي — ومنه كان البخاري تلقى فقه أهل الرأي وجامع الثوري قبل رحلاته — ، وأبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وبه انتشرت الكتب الستة في مشارق الأرض ومغاربها ، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة ، وأبو عبيد قاسم بن سلام الهروي ذلك الإمام المجتهد الكبير ، وعمرو بن أبي عمرو الحراني ، ومحمد بن سماعة التميمي ، وعلي بن معبد بن شداد الرقي من جملة من روى الجامع الكبير والجامع الصغير ، ومعلى بن منصور الرازي ، وأبو بكر بن أبي مقاتل ، وأسد بن الفرات القيرواني مدون مذهب مالك وشيخ سحنون ، ومحمد بن مقاتل الرازي شيخ ابن جرير ، ويحيى بن معين الغطفاني امام الجرح والتعديل ، وعلي بن مسلم الطوسي ، وموسى بن نصر الرازي ، وشداد بن حكيم البلخي ، والحسن بن حرب الرقي ، وابن جبلة ، وأبو العباس حميد ، وأبو التوبة ربيع بن نافع الحلبي ، وعبيد الله بن أبي حنيفة الدبوسي ، وأبو بريد عمرو بن يزيد الجرمي ، ومصعب بن عبد الله الزبيري ، وأيوب بن الحسن النيسابوري ، وخلف بن أيوب البلخي ، وعلي بن صبيح ، وعقيل بن عنبسة ، وعلي بن مهران ، وعمرو بن مهير ، ويحيى بن أكثم ، وأبو عبد الرحمن المؤدب مؤدب آل شبيب ، وعلي بن الحسن الرازي ، وهشام بن عبيد الله الرازي ،

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران النسوى راوى الموطأ عنه ، وشعيب ابن سليمان الكيسانى راوى الكيسانيات عنه ، وعلى بن صالح الجرجانى راوى الجرجانيات عنه ، واسماعيل بن توبة القزوينى راوى السير الكبير عنه ، وأبو بكر ابراهيم بن رستم المروزى راوى النوادر عنه ، وأبو زكريا يحيى بن صالح الوحاظى الحمصى من شيوخ البخارى بالشام ، وأبو موسى عيسى بن أبان البصرى راوى الحجج على أهل المدينة عنه ومؤلف كتاب الحجج الكبير وكتاب الحجج الصغير وكتاب الرد على المريسى والشافعى فى شروط قبول الأخبار ، وسفيان بن سحبان البصرى صاحب كتاب العلل وغيرهم .

ومحمد بن عمر الواقدى روى عنه كما روى هو عن الواقدى وذلك من رواية الأقران بعضهم من بعض . ونكتفى بذكر هذا المقدار ممن تفقه لديه وأخذ عنه .

رحلته إلى مالك وسماعه الموطأ من لفظه

وعندما بدأ الموطأ يذيع فى أوائل عهد المهدى رحل محمد إلى مالك ولازمه ثلاث سنين وجملة ما سمعه من لفظ مالك من الحديث نحو سبعمائة حديث مسند كما صح ذلك بطرق عنه . وسمع من سائر شيوخ المدينة فى هذه الرحلة زيادة على ما كان سمعه منهم فى رحلاته السابقة .

وللموطأ نحو اثنتين وعشرين رواية تختلف زيادة ونقصاً يشير الى بعض ذلك الدارقطنى فى جزء ألفه فى اختلاف الموطآت واتفاقها ، وموطأ محمد يعد من أجود الموطآت ان لم يكن أجودها مطلقا لأنه سمعه من لفظه بترو فى مدة ثلاث سنوات ، ولأنه يذكر بعد أحاديث الأبواب ما اذا كانت تلك الأحاديث مما أخذ به فقهاء العراق أو خالفوه مع سرد الأحاديث التى بها خالفوا تلك الأحاديث . وهذه ميزة عظيمة يمتاز بها موطأ محمد عن باقى الموطآت ، كما أن موطأ يحيى الليثى المتوفى سنة

أربع وثلاثين ومائتين يمتاز عن الباقي بسرده آراء مالك في مسائل بعد ذكره الأحاديث ، وإنما كان مالك كتب الموطأ لنفسه لئلا يغلط هو عند إسماعه لأحاديثه لا لأجل أن ينسخوه ويتداولوه ، ولذلك كان مالك يتصرف فيه زيادة ونقصا عند كل سماع . فاختلفت النسخ باختلاف سماع الرواة فيكون كل راو هو المدون لروايته باعتبار سماعه عليه لا بمجرد النسخ من نسخته ، وهذا هو سر اختلاف نسخ الموطأ إلى نحو اثنتين وعشرين نسخة فيعلم من ذلك أن عمل محمد في الموطأ يعد عملا جليلا جداً عند من يعنى بأحاديث الأحكام على أن أحاديث الحجاز كانت مشتركة بين علماء الأمصار معلومة لهم مروية عندهم لكثرة حجهم وزيارتهم ولا يفوتهم شيء منها في الغالب . وإنما المهم معرفة ما إذا كانوا أخذوا بتلك الأحاديث أم تركوها لأدلة أخرى وقام محمد في موطئه بتعريف ذلك حيث بين مواطن الأخذ كما بين مواضع الترك بأدلته .

بعض ما جرى بينه وبين مالك ومقارنة أهل العلم بينهما

روى الخطيب بسنده إلي مجاشع بن يوسف أنه قال : كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث (وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه) فقال : ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد ؟ . فقال مالك : لا يدخل الجنب المسجد . قال فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء ؟ قال : فجعل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد . فلما أكثر عليه قال له مالك : فما تقول أنت في هذا ؟ . قال يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل . قال : من أين أنت ؟ قال : من أهل هذه — وأشار إلي الأرض — ثم نهض . قالوا : هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . فقال مالك : محمد بن الحسن ، كيف يكذب وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟ . قالوا : إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض . قال هذا أشد على من ذاك ا هـ . ويقال : إن محمد بن الحسن حضر

يوماً مجلس مالك فوجده يقول ما معناه ، لا تصدقوا أهل العراق ولا تكذبوهم وأنزلوهم منزلة أهل الكتاب . فلما بصر مالك بمحمد ، تغير وخجل وجعل يقول : هكذا كان يقول بعض مشايخنا . والله أعلم بصحة هذا الخبر . وروى أبو اسماعيل الهروى فى ذم الكلام بسنده إلى الشافعى كأنه سمع محمد بن الحسن يقول : رأيت مالكا وسألته عن أشياء فما كان يحل له أن يفتى . ـ ثم ذكر ما جرى بين الشافعى وبين محمد بن الحسن من الأخذ والرد فى ذلك على زعمه ـ ولفظ ابن عبد البر فى الانتقاء ، أن محمد بن الحسن قال : ما كان على صاحبكم أن يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت . يريد أن مالكا ، لم يكن متعينا للافتاء بحيث يجب عليه أن يفتى فى وقت خاص ، لوجود علماء فى طبقته وفيهم من هو أعلى كعباً منه فى ذلك الوقت ، وأما أبو حنيفة فلم يكن فى عهده من هو أكفأ منه فى الفتيا وأيقظ منه فى الفقه حتى تعين للافتاء ووجب عليه أن يفتى .

وهذا أمر لا يظهر إلا لمن يعلم مراتب علماء المدينة فى عهد مالك ، ومراتب علماء العراق فى زمن أبى حنيفة فعلى تقدير صحة هذا أو ذاك من محمد يظهر أن محمد بن الحسن ، وإن كان يقر لمالك بكونه قدوة فى الحديث لكنه لم يكن يراه بهذه المرتبة فى الفقه ولعل ذلك من كثرة ما كان يسمع منه من قوله : لا أدرى فى المسائل ، وبطئه فى الجواب كما أنه لم يكن يرى عنده ما تعود أن يراه فى علماء العراق من سرعة الخاطر ، والاجابة الحاضرة على اطراد فى التفريع واتساق فى التأصيل . ومثل محمد بن الحسن لا يلام فى المقارنة بين أهل العلم ولكل عالم رأيه فى المقارنة بين العلماء لكن لا يخفى أن مالك بن أنس رضى الله عنه ما كان يجيب إلا فى النوازل وكان يأبى الخوض فى جواب ما لم يقع ، وهذا هو الباعث على قلة إجابته عن المسائل حتى إن الموطأ من رواية يحيى الليثى الذى حوى آراء مالك مع أحاديثه ، لم يشتمل إلا على نحو ثلاثة آلاف مسألة ، وربما يكون هذا المقدار أقل بكثير مما ينتجه

أبو حنيفة وأصحابه فى نحو ثلاثة أشهر . وأما كثرة المسائل فى أسمعة المتأخرين المروية عن مالك فليست مما يطمئن إليها القلب كما يتبين ذلك مما قالوه فى عبد الملك بن حبيب وصاحب العتبية ومن بعدهما وقصارى القول فيها أنها تخريجات على رأى مالك .

وصفوة القول : أن محمد بن الحسن سمع الموطأ من مالك لكنه كان يرى أن فى آرائه ما يرد عليه حتى صنف كتاب (الحجج) المعروف بالاحتجاج على أهل المدينة وتوجد نسخة مخطوطة منه فى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٤ ونسخة أخرى فى مكتبة (نور عثمانية) باصطنبول تحت رقم ١٤٩٢ وفيهما نقص وكنت اطلعت قبل سنين متطاولة على كراريس غلب على ظنى أنها من الكتاب المذكور . تحتوى على أبواب خلت منها النسختان المذكورتان ثم سعيت جهدى أخيراً لأهتدى إلى موضع وجود تلك الكراريس من المجاميع فى خزانات اصطنبول على بعد الدار لكن لم أهتد إلى موضع وجود تلك الكراريس بين المجاميع المحفوظة بها ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وهو كتاب قلما تجد له نظيراً فى كتب الردود وتلفى فيما رد به الشافعى على مالك أثر ذلك الكتاب ملموساً فى جميع خطوات الرد الوارد ولا تجد مثل تلك الاجادة فيما رد به الشافعى على محمد فى بعض مسائله .

وكثير من أهل العلم يفضل محمد بن الحسن على بعض مشايخه فى الفقه فضلا عن مشايخه فى الحديث . وقال الحافظ أبو القاسم بن أبى العوام السعدى سمعت الطحاوى يقول قال سمعت محمد بن سنان يقول سمعت عيسى بن سليمان يقول : لما قدم يحيى بن أكثم مع المأمون يريد مصر لقى يحيى بن صالح الوحاظى (من مشايخ البخارى بالشام) فقال له : يا أبا زكريا أيما كان أكثر تيقظاً مالك بن أنس أو محمد بن الحسن ؟ فقال له يحيى بن صالح : كان محمد بن الحسن نائماً مستثقلا أيقظ من مالك جالساً مجتمعا اهـ . وروى الخطيب ، بسنده عن يحيى بن

صالح أنه قال : قال لى ابن أكثم : قد رأيت مالكا وسمعت منه ورافقت محمد بن الحسن فأيهما كان أفقه ؟ . فقلت : محمد بن الحسن [فيما يأخذه لنفسه] أفقه من مالك اهـ . وما بين القوسين هكذا فى النسخة المطبوعة ولعله مدرج من مصحح الطبع . وقال الذهبى : انتهت اليه رياسة الفقه بالعراق بعد أبى يوسف وتفقه به أئمة وصنف التصانيف وكان من أذكياء العالم اهـ .

صلته بتدوين مذهب مالك وتفقه أسد بن الفرات عنه محمد بن الحسن

كان أسد بن الفرات خرج من القيروان الى الشرق سنة اثنتين وسبعين ومائة فسمع الموطأ على مالك بالمدينة وكان أصحاب مالك ؛ ابن القاسم وغيره يحملونه على السؤال عن مسائل حيث كان مالك يتلطف معه ويجيبه عن مسائله دونهم لكونه رحل اليه من بلد بعيد لكن لما أكثر السؤال أخذ مالك يتضايق من ذلك حتى قال له يوماً : (سلسلة بنت سلسلة اذا كان كذا كان كذا إن أردت هذا فعليك بالعراق) . وفى لفظ أنه سأل مالكا يوماً عن مسألة فأجابه عنها فزاد أسد فى السؤال فأجابه ثم زاده فقال له مالك : (حسبك يامغربى إن أحببت الرأى فعليك بالعراق) . فوجد أسد أن الأمر يطول عليه عند مالك ويفوته ما يرغب فيه من لقى الرجال والرواية عنهم فرحل الى العراق فلقى أبا يوسف وناوله نسخته من الموطأ بروايته ، بطلب من أبى يوسف فاطلع على أحاديث الموطأ برواية أسد ، ولما بلغ ذلك محمد بن الحسن قال : أبو يوسف يكتفى بشم العلم . يريد أنه لم يرحل مثله لسماع الموطأ بل اكتفى بالتناول من يد من يطلب العلم عنده . لكن أبا يوسف قديم الطلب للحديث وعنده سعة فى رواية الآثار إذ ذاك فيكفيه أن يطلع على نسخة صحيحة من الموطأ وأما محمد بن الحسن فانما سمعه من مالك وهو فى سن الطلب قبل أن يتسع فى معرفة الآثار فشتان ما بين الحالتين ،

فلعل هـذا الكلام لا يثبت عن محمد بن الحسن وإن عزاه إليه بعض قدماء المغاربة بدون سند . فسمع أسد بن الفرات بالعراق من أصحاب أبى حنيفة وتفقه عليهم : منهم أبو يوسف القاضى ، وأسـد بن عمرو البجلى ، ومحمد بن الحسن وغيرهم من فقهاء العراق وكان أكثر اختلافه إلى محمد بن الحسن ولما حضر عنده قال له : (انى غريب قليل التفقه ، والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثير فما حيلتى ؟) . فقال محمد : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندى وأسمعك . وقال أسد : وكنت أبيت عنده وينزل إلى ويجعل بين يديه قدحا فيه الماء ثم يأخذ فى القراءة فاذا طال الليل ورآنى نعست ملأ يده ونضح به على وجهى فأنتبه فكان ذلك دأبه ودأبى حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه اهـ . وكان محمد بن الحسن يتعهده بالنفقة بعد أن علم أن نفقته نفدت وكان فى احدى المرات عطاه ثمانين ديناراً حينما رآه يشرب من ماء السبيل ، وسعى فى نفقته عندما أراد أسـد الانصراف من العراق فى حكاية طريفة يطول ذكرها وهى مسرودة فى الجزء الثانى من معالم الايمان فى تاريخ القيروان .

ولا أعلم بين أئمة العلم من كان يصبر صبر محمد بن الحسن فى تعليم تلاميذه ولا من يؤثر إيثاره فى الانفاق عليهم خلا أستاذه الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه . وأما ما يروى عن مالك رضى الله عنه من مشاطرته فى ماله للشافعى فمن قبيل تلك الحكايات المختلفة فى رحلته المكذوبة التى سنبين وجوه كونها مختلقة ولم أر روايتها فى كلام من يوثق بروايته بسند يعول على مثله بخلاف ما هنا . ومما قاله أسد عن رحلته العراقية : (بينما نحن كنا مع محمد بن الحسن يوما فى حلقته اذ أتاه رجل يتخطى الناس حتى صار اليه فسمعنا محمداً يقول : إنا لله وانا اليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها مات مالك بن أنس ، مات أمير المؤمنين فى الحديث) . ثم فشا الخبر فى المسجد وماج الناس حزنا لموت مالك بن أنس رضى الله عنه وكان اذا حدث عن مالك بعد ذلك اجتمع عليه الناس

وانسدت اليه الطرق رغبة منهم في حديث مالك ، واذا حدث عن غيره لم يجئه الا الخواص اهـ .

وهذا مصداق ما روى الخطيب بسنده عن محمد بن الحسن أنه قال : ما أعلم أحداً أسوء ثناء على أصحابه منكم اذا حدثتكم عن مالك ملأتم على الموضع واذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتونى متكارهين اهـ . ومثله فى الكامل لابن عدى والانتقاء لابن عبد البر ولا عجب فى ذلك فان حديث العراقيين كان قد امتلأ به العراق فهم متمكنون من سماعه متى شاءوا وأما حديث مالك إمام دار الهجرة فيحق لهم أن يرغبوا فى سماعه من مثل محمد بن الحسن ولا سيما بعد أن بلغهم نبأ وفاة مالك رضى الله عنه لبعد الدار وانقطاع عهد الرحلة اليه بوفاته مع اطراء محمد لمالك هذا الاطراء وذلك سر تضاعف الرغبات فى سماع حديثه فعذر أصحابه فى ذلك ظاهر .

ثم انصرف أسد من العراق بعد أن زقه محمد العلم زقا ، ومر فى طريقه إلى بلده بالمدينة المنورة ليسأل بها أصحاب مالك عن المسائل التى تلقاها من محمد بن الحسن ولم يجد عندهم ما يطلبه بل أشاروا اليه بالرحيل إلى أصحاب مالك بمصر فارتحل ولما وصل إلى مصر قصد إلى عبد الله بن وهب وقال له : هذه كتب أبى حنيفة . وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأبى فذهب إلى ابن القاسم فأجابه إلى ما طلب فأجاب فيما حفظ عن مالك ، بقوله وفيما شك قال اخال وأحسب وأظن وتسمى تلك الكتب الأسدية ثم رجع بها إلى القيروان وحصلت له رياسة العلم بتلك الكتب . وهذا لفظ أبى اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء ، وأما لفظ (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) فهو ان أسداً أتى إلى ابن وهب وسأله أن يجيبه فى مسائل أبى حنيفة على مذهب مالك فتورع فذهب إلى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ عن مالك وفى غيره يقول سمعته يقول فى مسألة ، كذا وكذا ومسألتك مثلها ، ومنها

ما أجابه على أصول مالك وهـذه الأسدية هى أصـل مدونة سحنون أصلح ابن القاسم منها أشياء على يد سحنون اهـ . ولفظ ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل عند ترجمة عبد الرحمن بن القاسم فى المجلد الرابع منه ، كان أسـد سأل محمد بن الحسن عن مسائل ثم قدم مصر فسأل ابن وهب أن يجيبه فيما كان عنده منها عن مالك ، وما لم يكن عنـده عن مالك منها فمن عنـده فلم يفعل فأتى عبـد الرحمن بن القاسـم فتوسع له فأجابه على هـذا فالناس يتكلمون فى هـذه المسائل اهـ . ونقل ابن عبـد البر نص هـذه العبارة فى الانتقاء . وابن وهب يغلب عليـه الرواية فمثله لا بد وأن يأبى وأما ابن القاسـم فقد لازم مالكا نحو عشرين سنة بيقظة وانتباه يسـمع منه ويتفقه عليـه ومثله يكون أكثر إقداما على مثل ذلك والمـالكية يفضلونه على باقى أصحاب مالك فى الفقه وأما كلام الناس فى مسـائل ابن القاسم هـذه فلاستبعادهم استظهار هـذا المقدار العظيم من المسـائل عن مالك بدون كتاب مدون عنـده لكن الحفظ من مواهب الله سبحانه ، وذكر فى معالم الايمان أن أسـد بن الفرات بعـد أن أبى ابن وهب مر بأشهب فسـأله عن مسـألة فأجابه فقال له أسـد : من يقول هـذا مالك أو أبو حنيفة ؟ . فقال أشهب : هـذا من قولى عافاك الله . فقال له : إنما سألتك عن قول مالك وأبى حنيفة فتقول هـذا قولى . فدار بينهما كلام فقال عبد الله بن عبـد الحكم لأسـد : مالك ولهذا ؟ رجل أجابك بجوابه فان شئت فاقبل وان شئت فاترك . ففرق بينهما ، فأتى أسـد إلى عبد الرحمن بن القاسم وسـأله كما سبق . ويقال إن أشهب أزدرى مالكا وأبا حنيفة مرة حيث انجر الكلام إلى ذكرهما فى مجلسه فقال له أسد يا أشهب يا أشهب يا أشهب . فأسكته الطلبة . وقيل له : ماذا أردت أن تقول له قال : أردت أن أقول له : مثلك ومثلهما ، مثل رجل أتى بين بحرين فبال فرغى بوله فقال : هذا بحر ثالث . ويقال بل قال ذلك له مشافهة كما فى معالم الايمان والله أعلم .

ولا يخفى أنه لولا الكتب التى تلقاها أسـد من محمد فى فقـه أبى حنيفة وقدمها لابن القاسم ليجاوبه عن مسائلها على مذهب مالك عن ظهر القلب لمـا تمكن أسـد من الاجادة فى السؤال ولا ابن القاسم من الجواب عن كل مسألة يسأله فى أبواب الفقـه على ترتيب أهل العراق فعلى ضوء كتب محمـد تم تدوين أسـد لتلك المسائل التى هى أصـل مدونة سحنون • ولمـا أراد أسد الانصراف إلى المغرب بتلك المسـائل التى دونها فى ستين كتابا وسـماها الأسـدية قام عليه أهل مصر فسألوه فى كتاب الأسـدية أن ينسخوه فأبى عليهم فقدموه إلى القاضى بمصر • فقال لهم القاضى : وأى سبيل لكم عليه ؟ رجل سـأل رجلا فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سـأله • فرغبوا إلى القاضى فى سـؤاله أن يقضى حاجتهم • فسـأله القاضى فأجابه إلى ذلك ـ فنسخوها حتى فرغوا منها ونسخت نسـخة أخرى منها فى نحو ثلاثمائة رق (وهو المراد بالجلد فى لفظ ابن أبى حاتم) لتبقى عنـد ابن القاسم • ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الصلة بين المذهبين ليست مقتصرة على كون أسـد دون مذهب مالك على ضوء كتب محمـد بل كان مالك كثير المذاكرة فى الفقه مع أبى حنيفة كلما زار الثانى المدينـة المنورة وذكر غير واحـد من أهل العلم كيف كان يذاكره فى الفقه بالمسـجد النبوى إلى أن ينبلج ضوء الفجر فى ليالى اقامة أبى حنيفة بالمدينـة المنورة • وذكر القاضى عياض فى أوائل المدارك أن الليث بن سـعد رأى مالكا وهو يعرق فسـأله : أراك تعرق • فقال مالك : عرقت مع أبى حنيفة إنه لفقيه يامصرى • وأخرج ابن أبى العوام الحافظ عن يوسف بن أحمد المكى عن محمد بن حازم الفقيه عن محمد بن على الصائغ عن إبراهيم بن محمد عن الشـافعى عن عبد العزيز الدراوردى : أن مالكا كان ينظر فى كتب أبى حنيفة[1] وينتفع بهـا كما فى الجزء الرابع من فضـائل

---

(1) ومما يذكر فى مؤلفات الاقدمين من كتب أبى حنيفة كتاب الرأى ذكره ابن أبى العوام وكتاب اختلاف الصـحابة ذكره أبو عاصم العامرى
=

أبى حنيفة ، بالمكتبة الظاهرية بدمشق فى مجموعة محفوظة بها تحت رقم ٦٢ وعلى ذلك الجزء طباق وسماعات وبه تتم نسخة دار الكتب المصرية لأن بها خرما حاولوا اتمام نقصها بخط حديث إلا أنها لا تزال ناقصة فموضع الخط الحديث فى حاجة إلى النسخة الدمشقية المذكورة ، وترى فى الأم بعض مسائل يقول الشافعى فيها رواية عن الدراوردى : أخذها مالك عن أبى حنيفة بل روى الطحاوى عن الدراوردى أنه قال : كان عند مالك نفسه من مسائل أبى حنيفة نحو ستين ألف مسألة كما نقله مسعود ابن شيبة فى كتاب التعليم له عن الطحاوى إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التى ليس هـذا موضع استقصائها وإنما طرقت هـذا البحث عرضا ليعلم من لا يعلم أن الأئمة المتبوعين مثل أسرة واحدة ترى مالكا يذاكر أبا حنيفة فى العلم فى المسجد النبوى وينتفع بكتبه ومحمد بن الحسن يسمع الموطأ من مالك ، والشافعى يسمع الموطأ على مالك ويتفقه على محمد بن الحسن ، وأحمد يتفقه عند أبى يوسف والشافعى وينتفع بكتب محمد بن الحسن ، وبهـذا نالوا بركة العلم • وأما ما يروى من كلام بعضهم فى بعض فأكاذيب لفقها أعداء الدين ، وانخدع بها من انخدع من بسطاء أتباعهم راجع كلام الباجى فى شرحه على حديث الداء العضال من المنتقى شرح الموطأ (ج ٧ ص ٣٠٠) وأنت تعرف منزلة أبى الوليد الباجى هـذا فى الحديث والفقه وأصول الدين وعظم شأنه فى مذهب مالك •

وأسد هـذا هو ناشر مذهب أبى حنيفة ومالك بافريقية ثم اقتصر على نشر مذهب أبى حنيفة فانتشر فى ديار المغرب لحـد الأندلس حتى أصبح الأكثرون فى أفريقية على هـذا المذهب الى عهد ابن باديس وترجم

=

ومسعود بن شيبة وكتاب الجامع ذكره العباس بن مصعب فى تاريخ مرو وكتاب السير والكتاب الأوسط والفقه الأكبر والفقه الابسط وكتاب العالم والمتعلم وكتاب الرد على القدرية ورسالته إلى عثمان البتى فى الارجاء وعدة وصايا كتبها لعدة من أصحابه وهذه الكتب مشهورة •

لأسد بن الفرات هـذا ، القاضي عياض في المدارك وابن فرحون في طبقات المالكية وتوسع في ترجمته صاحب معالم الايمان في تاريخ القيروان جد التوسع ، وأسد هـذا هو فاتح صقلية وناشر الاسلام بها وبها توفي سنة ثلاث عشرة ومأتين ولهذه الصلة الأكيدة بين المذهبين ترى أهل الغرب يعتبرونهما بحرين وما سواهما ساقية يستغني عنها مع إخاء صادق بين الفريقين المتمذهبين بالمذهبين كما شرح ذلك صاحب أحسن التقاسيم عند ذكره للقيروان وكذلك ترى بعض كبار الفقهاء من المالكية يقول : إذا لم تكن في مسألة رواية عن مالك يؤخذ بقول أبي حنيفة فيهما ، بل حصر بعضهم الخلاف بينهما في اثنتين وثلاثين مسألة . راجع قمع أهل الزيغ والالحاد عن الطعن في تقليد أئمة الاجتهاد للشيخ محمد الخضر الشنقيطي المالكي (ص ٦٦ ـ ٦٧) . ولعلي لم أخرج عن الموضوع فيما أفضت فيه هنا .

رحلة الشافعي إلى محمد بن الحسن وتفقهه عنده

كان محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه تفقه على مسلم بن خالد الزنجي بمكة ثم رحل إلى المدينة وهو ابن نحو أربع عشرة سنة فعرض الموطأ على مالك وسمع من إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الاسلمي منافس مالك بالمدينة ثم رجع إلى مكة وسمع من ابن عيينة ثم ارتحل إلى اليمن للعمل عند بعض الولاة لضيق ذات يده فبقي باليمن يتقلب في الأعمال غير منصرف إلى العلم إلى أن ألقى القبض عليه بتهمة الانحياز للعلويين هناك ضد العباسية وحمل إلى العراق سنة أربع وثمانين ومائة ولما برئت ساحته من التهمة ألهم التفقه عند محمد بن الحسن حتى اتصل به ولازمه ملازمة كلية واستنسخ مصنفاته بصرف نحو ستين ديناراً وانصرف الى التفقه عنده انصرافا تاماً إلى أن سمع منه حمل بختي من الكتب ليس عليها إلا سماعه وأخذ يعتلي شأنه وأصبحت هـذه المحنة منحة كبرى في حقه لكونها مبدأ اعتلاء قدره .

ومما كتبه اليه فى أول قدومه يستبطىء إعارة كتاب كان طلبه من محمد بن الحسن :

قل للذى لم ترعيـ ـن من رآه مثله
حتى كأن من رآ ه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فوجه به اليه فى الحال هدية لا عارية كما نقله ابن الجوزى بهذا اللفظ فى المنتظم عن الطحاوى وروى ابن عبد البر هذه الحكاية مع أبيات الشافعى هذه بسنده إليه فى جامع بيان العلم . ولفظ الصيمرى ، حدثنا أبو إسحق النيسابورى المعروف بالبيع قال حدثنا محمد بن يعقوب الاصم قال حدثنا الربيع بن سليمان قال كتب الشافعى إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتبه لينسخها فأخرها عنه فكتب إليه ـ تلك الأبيات ـ قال فأنفذ الكتب إليه من وقته ا هـ . وذكر أبو إسحق الشيرازى أيضاً هذه القصة مع تلك الأبيات فى طبقات الفقهاء من غير سند ، ومن المعلوم أن الشافعى رأى مالكا ووكيع بن الجراح وابن عيينة وقد اعترف فى تلك الأبيات أنه لم ير مثل محمد بن الحسن وعده يمثل علم أبى حنيفة الذى لم يدركه الشافعى ولم يكن من الشعراء الذين يتزلفون بكل وسيلة فمثل هذا الكلام لن يصدر عن مثله إلا وقلبه يواطىء لسانه .

وقد ذكر الذهبى فى تاريخه الكبير : قال أبو على الصواف حدثنى أحمد بن الحسن الحمانى سمعت أبا عبيد يقول رأيت الشافعى عند محمد ابن الحسن وقد دفع اليه خمسين ديناراً وكان قد دفع اليه قبل ذلك خمسين درهما وقال إن اشتهيت العلم فالزم قال أبو عبيد فسمعت الشافعى يقول كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولما أعطاه محمد قال لا تحتشم

قال لو كنت أنت عندى ممن أحتشمه ما قبلت برك . تفرد به الحمانى وهو مجهول لكن قول الشافعى حملت عن محمد وقر بختى صحيح رواه ابن أبى حاتم ما تم قال حدثنا الربيع قال سمعت الشافعى يقول حملت عن محمد بن الحسن حمل بختى ليس عليه إلا سماعى قال أبو حاتم ثنا أحمد بن أبى سريج الرازى سمعت الشافعى يقول أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثا انتهى ما قاله الذهبى . ومثله فيما لخصه ابن قاضى شهبة من تاريخ الذهبى بخطه أقول كان محمد بن الحسن يخفى بره لتلاميذه ولا يتسرب أمره إلى الرواة إلا من الذين كان ينفق هو عليهم وفى الرواية من هذه الجهة شيء وإن كان كثير البر خصوصاً فى حق الشافعى كما روى عن الشافعى نفسه بطرق فيبعد أن يعطيه شيئاً والناس يشاهدون ذلك .

ومهم جداً أن يكون الشافعى حمل من محمد حمل جمل كتبا ليس عليها إلا سماعه لأن ما سمعه عليه ومعه العراقيون فى مجلسه العام يكون عليه سماعه وسماع الآخرين . وأما الذى ليس عليه إلا سماعه فهو الذى سمعه هو خاصة فى مجالس خاصة كما فعل محمد بن الحسن مثل ذلك مع أسد بن الفرات وأبى عبيد وغيرهما من أئمة عصره فى عهد طلبهم للعلم وهذا الصبر العجيب من محمد مع تلاميذه لا يشاركه أحد من الأئمة سوى أبى حنيفة فيما نعلم كما سبق .

وروى ابن أبى حاتم عن محمد بن ادريس وراق الحميدى عن الحميدى عن الشافعى أنه قال فى صدد بيان ملازمته لمحمد بن الحسن : (فلزمته وكتبت عنه وعرفت أقاويلهم وكان إذا قام ناظرت أصحابه فقال لى : بلغنى أنك تناظر أصحابى فناظرنى فى الشاهد واليمين فاستنعت فألح على فتكلمت معه فرفع هو ذلك إلى الرشيد فأعجبه ووصلنى اهـ) . وبهذا يظهر كيف كان محمد بن الحسن يدربه على المناظرة وكيف كان يلفت نظر إعجاب أمير المؤمنين اليه كما يظهر بذلك أيضا مبلغ أدب الشافعى

مع محمد بن الحسن يأبى الكلام معه كمناظر على خــلاف ما فى تلك المناظرات المختلفــة التى لا تجرى بين الأستاذ وتلميذه الذى تلقى منه حمل بختى من العلم مع اعترافه بفضله عليه بكل وســيلة وعرفانه لجميله فى كل لحظــة .

وكم لمحمد بن الحسن من أياد بيضاء على الشافعى حتى قال الشافعى: أمن الناس على فى الفقه محمد بن الحسن . رواه الخطيب عن الحسن ابن محمد الخلال عن على بن عمرو الجريرى عن على بن محمد النخعى عن أحمــد بن حماد بن ســفيان عن المزنى عنه ، وذكر السمعانى عن البويطى عن الشافعى أنه قال : أعانني الله برجلين بابن عيينة فى الحديث وبمحمد فى الفقه . وعن الربيع عن الشافعى : ليس لأحد على منة فى العلم وأســباب الدنيا ما لمحمد على وكان يترحم عليه فى عامة أوقاته ، وعن ابن سماعة أن محمد بن الحسن جمع من أصحابه نحو مائة ألف درهم لأجل الشافعى مرة بعد أخرى وروى الذهبى فى جزئه عن ادريس بن يوسف القراطيسى أنه سمع الشافعى يقول : ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد كأنه عليه نزل . وكل ذلك مما يدل على أن الشافعى كان عظيم الاجلال لمحمد بن الحسن كبير الأدب فى معاملته معه .

وبعد الاحاطة بما ذكرنا يظهر أن المناظرات التى تروى بغير طريقة سؤال التلميذ من أستاذه فيما يستشكله ، مناظرات خيالية ملفقة مستولدة لا ترد إلا مجردة عن الأسانيد بالمرة أو بأسانيد مركبة ، فمنها ما يرويه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن التمار عن أحمد بن خالد الكرمانى عن المقدمى من المناظرة بين محمــد والشافعى بمجلس الرشيد . فابن رزق بعد أن عمى وهرم لازمه الخطيب وأكثر من الرواية عنه ومثل هــذا التحمل لا يخفى حاله وأبو عمرو بن السماك مغموز برواية الأخبار التالفة والكرمانى مجهول ولفظ المقدمى لفظ الانقطاع وفى المتن ما تكذبه شواهد الحال وليس ذلك من الطراز الذى يجرى

بين الطالب وشيخه فى مثل ذلك المجلس على أن رد الشافعى على مالك وأهل المدينة أقسى من رد محمد بن الحسن عليهم فكيف يعيره الشافعى بما هو أخف مما وقع فيه — فدونك كلام محمد بن الحسن فى كتاب الحجج وكلام الشافعى فى الأم وكلامه المنقول فى مناقب الشافعى لابن حجر فى ذلك فقارن بين الكلامين حتى تتيقن أيهما أقسى وأيهما أرعى لأدب الحجاج — أم كيف يتصور أن يصدر من الشافعى مثل هذا التشغيب المحكى مع تصور أن الرد موجه إلى مالك بحجة .

وكيف يعارض الشافعى محمد بن الحسن باعتبار أن قبول شهادة القابلة زيادة على الكتاب وأين فى الكتاب ما يمنع قبول شهادة القابلة كما يقول أبو بكر الرازى حتى يذكر فى هذا الموضع وإنما ذكر الله تعالى الشهادات فى المداينات والوصية فى السفر والرجعة أو المفارقة والزنا وأما الشهادة فى الولادة فلا ذكر لها فى القرآن ، وكذلك كيف يقول الشافعى إن عبد الله بن نجى مجهول وقد عرفه أهل الشأن ودونك كتب الرجال ، وجابر وإن تكلم فيه أبو حنيفة كما فى علل الترمذي لكن وثقه الثورى وروى عنه شعبة مع تشدده فمحمد بن الحسن غير ملزم بقبول قول أبى حنيفة لأنه مجتهد مثله ومعه الثورى وغيره .

وحكاية السيف والنطع حكاية روائية لا حقيقة لها فلا محمد بن الحسن يقف هذا الموقف فى مثل هذه المسألة المشروحة أدلتها فى كتبه المؤلفة قبل اتصال الشافعى به ولا الشافعى يجهل ما أشرنا اليه فملفق هذه المناظرة أساء إلى الشافعى وهو يريد الاحسان اليه لكن هكذا تكون صداقة الجاهل . وقد جرينا فى ذكر هذه المناظرة المزعومة على ما فى الأصل فان المطبوع فيه تخليط بهذا الموضع ومثلها حكاية لوح مغصوب سمر على سفينة كما أشرنا اليه فى موضع آخر .

وذكر ابن حجر فى مناقب الشافعى بطريق الساجى عن يحيى بن اكثم انه قال : كنا عند محمد بن الحسن فى المناظرة كثيراً فكان الشافعى رجلا

قرشي العقل والفهم والذهن صافي العقل والفهم والدماغ سريع الاصابة ولو كان أمعن في الحديث لاستغنت به أمة محمد عن غيره من العلماء اهـ .
ومن المشهور بين الذين ترجموا لابن اكثم انه ولى قضاء البصرة سنة اثنتين ومأتين وكانت سنه إذ ذاك نحو عشرين سنة حتى إن أهل البصرة استصغروه فأجابهم بما أجاب فكيف يمكنه أن يحضر مجالس المناظرة عند محمد سنة أربع وثمانين ومائة على أن ابن اكثم خراساني المولد متأخر قدومه إلى العراق جداً . فآثار الاختلاق ظاهرة على هذه الرواية وإن لم ينبه عليهما ابن حجر والله اعلم .

وأما ما أخرجه الخطيب عن ابن رزق عن أبي عمرو بن السماك عن التمار عن الربيع عن الشافعي انه قال : ما ناظرت أحداً إلا تغير وجهه ما خلا محمد بن الحسن . ففيه تحويل (ما سألت) الى (ما ناظرت) ليجعل الشافعي نظير شيخه يناظره . وفي هذه الرواية ابن رزق وابن السماك وهما معروفان . والرواية الصحيحة التي لا مغمز فيها حتى عند الخطيب نفسه هي ما أخرجه الصيمري حيث قال ثنا العباس بن أحمد الهاشمي ثنا علي بن عمرو الجريري ثنا علي بن محمد النخعي ثنا أحمد بن حماد بن سفيان عن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول : ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لي تغير وجهه إلا محمد بن الحسن اهـ .
ومثله في الانتقاء (ص ٦٩) حيث قال حدثنا خلف بن القاسم نا الحسن ابن رشيق نا محمد بن يحيى الفارسي ابا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول : وما رأيت أحداً سئل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهة في وجهه إلا محمد بن الحسن اهـ . فسوق الخطيب لتلك الرواية المشوهة دون هذه الرواية الصحيحة من دسائسه المكشوفة والفرق بينهما ظاهر .

وأما ما أخرجه الحاكم من أن الشافعي كلمه في الاتفار فسنده ليس بذاك ونبرىء الشافعي من أن يثبت عنه مثل ذلك وأبو الحسن القابسي تكلم في ابن شعبان راجع السند في تخريج أحاديث الرافعي لابن حجر .

وأما ما أخرجه الخطيب فى ترجمة الشافعى فى (ج ٢ ص ٦١) عن أبى الطيب الطبرى عن على بن إبراهيم بن أحمد البيضاوى عن أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى أنه قال سمعت الربيع بن سليمان يقول : ناظر الشافعى محمد بن الحسن بالرقة فقطعه الشافعى فبلغ ذلك هرون الرشيد فقال هرون : أما علم محمد بن الحسن أنه إذا ناظر رجلا من قريش يقطعه سائلا ومجيباً ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها فان علم العالم منهم يسع طباق الأرض اهـ . فحكاية مكذوبة فى سندها ابن الجارود ويقول الخطيب نفسه عن هذا فى (ج ٢ ص ٢٤٧) : إنه كذاب . وما أدرج فى الحديث من قوله (وتعلموا منها ولا تعلموها) : دس محض يخالف عمل الصحابة والتابعين المتواتر عنهم وهو اختلاق من لا يعرف على من تفقه الشافعى ؟ وقد عودنا الخطيب أن يسوق الأخبار الكاذبة من غير تنبيه على كذبها فيما إذا صادف ذلك هوى منه فلا نستغرب ذلك منه لكن القاضى أبا الطيب الطبرى كنا نظن به أنه يأبى التورط فيما يتورط فى مثله الخطيب وحاله كما ترى وكان فى غنية عن الحكايات الكاذبة فى تبيين جلالة مقدار الشافعى بما له من الفضل الجسيم والأغرب من ذلك سوق ابن حجر فى مناقب الشافعى (ص ٤٧) تلك الحكاية الكاذبة وهو يعلم أنها كاذبة نسأل الله السلامة . والبيهقى ممن لا يتورع عن رواية الأكاذيب إذا صادفت هوى منه فلا يكون عذراً لابن حجر أن يكون فى سندها البيهقى وهو يعلم ذلك منه .

واما ما رواه الخطيب أيضا فى ترجمة محمد بن الحسن فى (ج٢ ص١٧٧) من أن الشافعى ناظر محمد بن الحسن وعليه ثياب رقاق فجعل تنتفخ أوداجه ويصيح حتى لم يبق له زر إلا انقطع اهـ . فمتنه يغنى عن الكلام فى رجال سنده أليس من المستحيل فى جارى العادة انقطاع جميع أزرار الثياب برفع الصوت من لابسها وبالصياح منه ؟ بل هو شأن النوادب اذا لطمن صدورهن ومزقن ثيابهن ، وهذا يدل على أن واضع

هـذه الحكاية استعجل في الوضع ليرفع من شـأن الشافعي فنطق بما يكذبه كل سامع على أن من المروى عن الشافعي بطرق صحيحة كما أسلفنا ذكر بعضها أنه لم ير من لا يتغير حينما يسأل عن مسألة فيها نظر سوى الإمام محمد بن الحسن ، فكيف يصح هـذا منه مع ذاك وأين لفظ ابن عبد البر في الانتقاء (ص٢٤) من هـذا ، حيث قال حدثنا خلف بن قاسم قال نا الحسن بن رشيق قال نا محمد بن الربيع بن سليمان ومحمد بن سفيان بن سعيد قالا نا يونس بن عبد الاعلى قال قال لي الشافعي : ذاكرت محمد بن الحسن يوما فدار بيني وبينه كلام واختلاف حتى جعلت أنظر الى أوداجه تدر وتنقطع أزراره فكان فيما قلت له يومئذ نشدتك بالله هل تعلم أن صاحبنا يعني مالكا كان عالما بكتاب الله قال اللهم نعم ! قلت وعالما باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم نعم ! اهـ ولا غبار على هـذه الرواية لأن العالم كثيرا ما يرفع صوته على تلميذه اذا رآه يتباطأ في فهم ما يلقيه عليه وكان من هـذا القبيل رفع الصوت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في العلم قال ابن أبي العوام الحافظ حدثني أحمد بن محمد بن سلامة قال حدثني محمد بن العباس بن الربيع قال حدثني المصرفي (محمد بن عمرو بن السري) قال قال هرون الرشيد لأبي يوسف : ما أحد من الناس أحب مجالسته غيركم ياأهل الفقه لولا خفة فيكم فقلت له وما الخفة التي فينا ؟ قال ربما رأيت الرجل منكم يقبل على الصبي الذي سنه دون سن ولده فيعلو صوته [عليه] قال فأخذت به في حديث آخر ثم أريته عنداً من الخشب فقلت له كم هـذا ياأمير المؤمنين ؟ فقال كذا وأصاب فقلت ما الدليل على ذلك فقال من يقول غير هـذا ؟ قلت الذي يخالفك وكلمته بكلام من هـذا النحو فعلا صوته ودرت أوداجه فقلت له أصاب أمير المؤمنين قد كان من صياحه ودفعه إياي ما كان ، عن الصواب الذي تفهمه العامة والخاصة فكيف ينكر على صياحي عند الصواب الذي أخالف فيه ولا تفهمه العامة ولا يفهمه الا القليل من الخاصة قال فعذر

عنـد ذلك اهـ فلعل ما فى الاتنفاء من هـذا القبيل وانظر الى كلام الخطيب كيف غير وبدل • فحكاية الخطيب مع مخالفتها للروايات الصحيحة واقترانها بما يكذبها ، بين رجال سندها دعلج بن أحمد كان يدخل عليه الوضاعون مثـل أبى الحسين العطار وعلى الرصافى ما شـاءوا من الأكاذيب ، والأبار مأجور للوقيعة فى أبى حنيفة وأصحابه والله ينتقم منه وكل ما يذكر فيه مناظرة الشافعى لمحمد بن الحسن من تلك الأخبار فملفقة مخالفة لمـا صح من الروايات اختلقها الكذابون على ظن أنهـا تروج فافتضح واضعوها من غير أن يرفعوا بها من شأن أحد لأن الموضوع من شأنه الوضع دون الرفع •

وقد روى عن الشافعى بأسانيد صحيحة ثناء بالغ فى حق محمد بن الحسن مدون فى تاريخ الخطيب وكتاب ابن أبى العوام وكتاب الصيمرى وتهذيب النووى ومؤلفات الذهبى وغيرها فضلا عما فى كتاب الكردرى فنستغنى عن سرد تلك الروايات هنا لشهرتها • ومن الحقائق الملموسة أنه لا يعرف للشافعى عمل يذكر فى الفقه قبل اتصاله بمحمد بن الحسن بل إنما رجع الى مكة بعد أن تفقه عليـه وأخذ يقارن ما تلقاه منه بفقه أهل الحجاز حتى حصلت له اختيارات أدت به الى اظهار الاجتهاد بعـد وفاة محمد بسنوات بأن عاد الى العراق سـنة خمس وتسعين ومائة بعـد وفاة محمد بن الحسن بست سنوات وبقى هناك سنتين ينشر اختياراته ومذهبه القديم على رواة القديم المعروفين ، بكتاب ألفه وسماه الحجة فى مجلد ضخم وهو الذى رد عليـه عيسى بن أبان كما رد على جديده القـاضى بكار بمصر • ولولا أن ضيق ذات يده حمله على التقلب فى الأعمال منقطعا عن العلم لكانت مواهبه أثمرت قبل ذلك الحين •

وهناك رحلتان منسوبتان للشافعى كلتاهما مكذوبة فأولاهما رواية عبـد الله بن محمد البلوى الكذاب المشـهور وقد قال ابن حجر فى (توالى التأسيس بمعالى بن ادريس ص ٧١) : فقد أخرجها الآبرى

والبيهقى وغيرهما مطولة ومختصرة وساقها الفخر الرازى فى مناقب الشافعى بغير اسناد معتمدا عليها وهى مكذوبة وغالب ما فيها موضوع وبعضها ملفق من روايات ملفقة . وأوضح ما فيها من الكذب قوله فيها : إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعى وهذا باطل من وجهين احدهما أن أبا يوسف لما دخل الشافعى بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعى ، والثانى أنهما كانا أتقى لله من أن يسعيا فى قتل رجل مسلم .. وليس له اليهما ذنب .. وان منصبهما وجلالتهما وما اشتهر من أمر دينهما لتصد عن ذلك والذى تحرر لنا بالطرق الصحيحة ان قدوم الشافعى بغداد أول ما قدم كان سنة أربع وثمانين ومائة وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين وانه لقى محمد بن الحسن فى تلك القدمة وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه انتهى ما نقلناه من ابن حجر بحروفه . وقال ابن حجر أيضا فى كتابه المذكور (ص ٧٠) بعد أن ساق ما أخرجه الساجى (ان محمد بن الحسن قال للرشيد لا يغلبنك هذا بفصاحته ولسانه لأنه رجل لسن) : والذى نقل عن محمد بن الحسن فى حق الشافعى ليس بثابت اهـ .

بل الثابت منه كل عطف ومساعدة له كما سبق بل لم يرو عن الشافعى ثناء فى حق أحد من الأئمة قدر ما روى عنه من الثناء على محمد بن الحسن عن جدارة منه بذلك الثناء وذلك أكبر تكذيب لاختلاق المختلقين .

واما سعى المفترى الباهت فى تمشية اختلاقه وبهتانه بأنهما كانا يحسدانه فى العلم فمن أوقح فرى يفتريها صفيق من حيث أن ذلك مما تكذبه شواهد الحال لأن الشافعى كان إذ ذاك فى حال الطلب ولم يكن له عمل فى الفقه قبل ذلك وانما كان حضر عند بعض الشيوخ فى الفقه حتى أن أحاديث الموطأ التى يقال إنه عرضها على مالك تجده يروى بعضها فى كتبه بواسطة محمد وغيره عن مالك ولا تجد نسخة من رواية الشافعى للموطأ يتداولها أهل العلم على توالى القرون كتداولهم

النسخ من رواية الآخرين وهــذا يدل على أنه وإن كان عرض الموطأ على مالك في مبدأ أمره لكنــه لم يضبط أحاديثه ولم يستمر على مدارستها ، وكذلك لم تكن رحلته إلى اليمن لأجل العلم بل لطلب الرزق فعلى أى شيء يحســده أئمة العلم وهو فى مثل هــذه الحالة ثم كيف يلازم الشافعي — وهو العالم المحسود في علمه على زعمه — حاسده ويتلقى منه العلم ؟ وكيف يروى العلم فى كتبه عن هــذا الحاسد وذلك الحاسد لو تغاضينا عن ملاحظة سيرتهما فى العلم والدين وفرضنا — كما يفرض المحال — أنهما قد يحســدان • على أن محمد بن الحسن يعترف له الصديق والعدو بأنه كان من أجهر أهل العلم صوتا في دفع ظلم الظالمين ولو لم يكن له موقف غير موقفه فى تصــحيح أمان ذلك الطالبى فى مجلس الرشيد يوم خرست ألسن من حصره من أهل العلم عن بيان الحق لكفاه دليلا على منزلته فى القيام بالحق والحيلولة دون الظلم ، وقد علم الخاص والعــام من رواية الثقات الأثبات مبلغ تعب محمد بن الحسن فى ســبيل تعليم الشافعي والانفاق عليــه ، وماله من يد بيضاء نحوه وأنه ليس أحد أمن عليــه فى الفقه من محمد بن الحسن .

أفلا يكون بعــد ذلك كله من أكفر النكران وأسوأ الفرى إختلاق إساءة بدل احسان المحسن ذلك الاحسان فلا شك أن تخليد ذلك فى الكتب يحتاج إلى صــفاقة بالغة وقلة فى الدين وأن ناقل ذلك من غير تفنيده شريك للمختلق فى الاثم ، وكنا نعلم مبلغ تعصب البيهقى وتمشيه مع الهوى فى كتابه (معرفة السنن) حيث يتكلم فى الطحاوى بما هو صفة نفســه ولم يسبق أن تكلم أحد من أهل العلم فيه سوى البيهقى وهو الذى يقوى الضعيف لأجل مذهبه ويضعف القوى لأجل مذهبه بل تراه يضعف رجلا لأجل المذهب ثم يقوى ذلك الرجل بعينــه لأجل المذهب وبينهما أقل من ورقتين وقد كشف الســتار عن وجه البيهقى (الجوهر النقى) ونبهنا على تلبيسه الحافظ عبد القادر القرشى وكنا نعلم ذلك كله فى البيهقى لكن ما كنا نظن به أن يســمح دينه أن يخلد هذه

الفرية المكشوفة والرحلة المكذوبة فى مناقب الشافعى مع علمه بحال البلوى وبكون تلك الرحلة مكذوبة تتضمن فضائح تخالف التاريخ الصحيح لكن ظهر بذلك جلياً أن سقوط البيهقى أبعد غوراً مما كنا تتصوره بكثير فتباً لهذا الضمير الميت وتبا لهذا التعصب المرذول فكم أوقع عمل البيهقى هذا أمثال ابن الجوينى ، وأبى حامد الطوسى والفخر الرازى ممن لا شأن لهم فى تمحيص الروايات ، فى مهازل فى مبدأ أمرهم اغتراراً بتخريج البيهقى لتلك الرحلة المفضوحة ، خلا ما نتج من مثل ذلك منذ عهد القفال المروزى من تعصب بارد إما لهذا الامام أو لذلك الامام بحيث يؤلم المتعصب له والمتعصب عليه مع أن تلك الأخبار ما هى إلا أقاصيص ملفقة لم تقع إلا فى مخيلة رواتها وكانت الشافعية من أعرف أهل العلم لجميل علماء العراق عليهم إلى أن دب دبيب الفتنة بينهم باثارة أبى حامد الاسفراينى لفتنة المزاحمة على القضاء بالكيفية المشروحة فى خطط المقريزى الشافعى فقام المحدث منهم بتدوين الأخبار المكذوبة بدون تورع والفقيه بتصوير عبادة مشوهة حتى استفحلت الفتنة بحيث وهت منها أركان الدولة فى القرنين الخامس والسادس إلى أن انهدت فى أواسط السابع وتقع تبعة هذه الكوارث على أعناق مثيرى تلك الفتن بأكاذيب ملفقة ، لا نالوا من ورائها دنيا ولا بقى لهم دين خالص ، وممن صرح قبل ابن حجر بكذب الرحلة المذكورة التقى ابن تيمية فى منهاجه وقبله مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم وأمر البلوى مكشوف من قديم • والله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل •

واما الرحلة الثانية فهى رواية البطين عن ابن المنذر وكانت طبعت فى الهند مع مسند الشافعى عن نسخة سقيمه جدا ثم أعيد طبعها بمصر بتصرف فى عبارتها على أمل إزالة السقم • وتوجد فى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة غير سقيمة من هذه الرحلة مغنية عن التصرف مخطوطة فى القرن السابع وسعى بعضهم فى افراغها بقالب قصة روائية فانتشرت بين الجمهور •

وهـذه الرحلة كأختها مكذوبة وهما فى الاختلاق توأمان وقد نسبت هـذه الرحلة فى الطبعة الهندية التى هى أم الطبعة المصرية الى السيوطى من غير وجه كما نسبت فى بعض المخطوطات الى الشعرانى بدون سبب وزادت الطبعة المصرية انها بقلم الشافعى نفسه واشتركت الطبعتان فى أنهما تعتبرانها رواية الربيع الجيزى عن الشافعى ، وقد كذب العقيلى ابن المنذر فى دعوى ادراكه الربيع المرادى المتوفى سنة سبعين ومأتين فكيف يتصور أن يدرك الجيزى المتوفى سنة ست وخمسين ومأتين والحق انه لا شأن للشافعى ولا للربيع ولا لابن المنذر فى انشاء هـذه الرحلة ولا فى روايتها ، وانما اختلقها من اختلق ، بعـد ابن المنـذر وركب لها سنداً ولم يتعرض فيها لمحنة الشافعى أصلا . فالبطين والكواز مجهولان والله أعلم بحال من بعدهما إلى الفارسى ، وفى المتن ما يغنيك عن تطلب رجال السند والكشف عن أحوالهم .

فمن الأكاذيب الصريحة فيها سماع عبد الله [1] بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم بل الليث بن سعد ، الموطأ على مالك سنة أربع وستين ومائة بقراءة الشافعى وزمن لقى هؤلاء بمالك معروف عند أهل العلم وابن القاسم لازم مالكا الى وفاته من سنة تسع وخمسين ومائة قبل رحلة الشافعى بسنوات ولم يلقى الشافعى الليث أصلا طول عمره وقد صح عنه أسفه العظيم على ذلك وما يعزى الى الربيع أنه قال (أحسبه) عند ذكر الليث من طرائق تلبيس الكذابين والربيع من أعلم الناس بأن الشافعى لم يلق الليث .

وادعاء رحلة الشافعى الى العراق سنة أربع وستين ومائة بعيد سماعه الموطأ على مالك أمر خيالى بحت مخالف للتاريخ الصحيح المدون فى كتب النقاد ولما نقلناه آنفاً من ابن حجر من أن دخول الشافعى

---

(1) كان ابن تسع فى تلك السنة لم يغادر مصر بعد وأشهب رحلته الى مالك قبل ذلك التاريخ .

العراق أول مرة كان سنة ١٨٤ بعد وفاة أبى يوسف بسنتين فتكون تلك المزاعم من ملاقاته لأبى يوسف ومحمد بن الحسن ومشاهدته دنيا طائلة عندهما ومباحثته معهما وحفظه كتاب الأوسط لأبى حنيفة من خزانة محمد بن الحسن خلسة فى ليلة واحدة من غير أن يعلم محمد بن الحسن بذلك وتغليطه لمحمد فى نقله عن كتاب الأوسط وضن محمد بكتبه بعد ذلك إلى آخر ما ذكر هناك كلها أكاذيب تنهار بانهيار الكذب الذى بنيت هى عليه ، ثم تنقله فى بلاد الفرس كذب صريح أيضاً ولم يذكر احد ممن عنى بتواريخ البلدان فى كتبهم حلول الشافعى بأحد تلك البلاد فأين ذكر الشافعى فى تاريخ نيسابور أو الرى أو قزوين أو جرجان أو مرو أو اصبهان وتلك التواريخ كلها بمتناول أيدى الناس . وكذلك عودته إلى بغداد فى أول خلافة الرشيد سنة احدى وسبعين ومائة وتأليفه كتاب الزعفرانى وهو القديم (يعنى كتاب الحجة) بين عشية وضحاها فى ذلك الوقت كذب مضاعف لأن سن الزعفرانى حينما قرأ القديم على الشافعى سنة خمس وتسعين ومائة لأول مرة كانت نحو خمس عشرة سنة فقط لم يبد عليه بعد نبات شاربه مع أنه يسرع إلى النبطيين فلم يكن الزعفرانى بعد مولوداً فى تاريخ سنة احدى وسبعين ومائة فضلا عن أن يؤلف الشافعى الكتاب باسمه فى ذلك التاريخ كما لا يخفى ثم رحيله فى التاريخ نفسه من بغداد بطريق حران وإهداء أحد تلاميذه هناك آلافاً مؤلفة من الدنانير اليه . وتوزيع الشافعى لتلك الدنانير العظيمة المقدار على أهل العلم من المحدثين الذين استقبلوه كالأوزاعى وابن عيينة وأحمد بن حنبل مع ان الأوزاعى كان مات سنة سبع وخمسين ومائة والشافعى ابن سبع ، وابن عيينة لم يفارق الحجاز منذ انتقل إلى مكة من الكوفة بعد وفاة أبى حنيفة وكان أحمد بن حنبل صبيا ابن سبع سنين لا يرحل مثله فى ذلك التاريخ ، ثم لقاؤه مالك بن انس وهو فى غاية من الغنى ، وفى بابه من الجوارى ما يزيد على ثلاثمائة جارية لا يتم طوافه عليهن إلا فى سنة كاملة وعنده من الأموال ما لا يوجد إلا عند الملوك

وإهداء مالك إلى الشافعى جميع تلك الأموال ثم انقلاب الشافعى إلى اهله بمكة بتلك الهدايا الضخمة وتوزيعه لتلك الأموال كلها على أهل مكة ولقاؤه لأهل بيته وهو لا يملك شروى نقير ثم بلوغ هذا الخبر لمالك وابتهاجه من هذا الايثار العظيم ، وجعل مالك له وظيفا مرتبا سنويا ضخما تقاضاه الشافعى من مالك إحدى عشرة سنة (وواضع الرحلة يادع فى الحساب أيضاً فيجعل عدد السنين فيما بين ذلك التاريخ اعنى سنة ١٧١ وتاريخ وفاة مالك أعنى سنة ١٧٩ احدى عشرة سنة) ، ثم ضيق ذات يده بموت مالك وانتقاله إلى مصر ، وقيام عبد الله بن عبد الحكم مقام مالك فى كفايته إلى أن مات .

كل ذلك أكاذيب فى أكاذيب يعجز عن تلفيقها امام حمص المذكور فى شرح الشريشى على المقامات وان كان لعبد الله بن عبد الحكم يد بيضاء على الشافعى حينما حل بمصر فى حدود سنة مأتين لا سنة تسع وسبعين ومائة بعد وفاة مالك رضى الله عنه فتاريخ موت مالك وتاريخ انتقال الشافعى إلى مصر وحال مالك فى الزهد والتقشف كل ذلك من الأمور المعلومة عند العام والخاص ولعل هذا القدر من البيان يكفى لتبيين ما فى الرحلة الثانية من الهذيان .

ولا بأس فى الاشارة هنا إلى ما يتحاكونه من حديث كأنه جرى بين محمد بن الحسن والشافعى فى المفاضلة بين أبى حنيفة ومالك وقد رواه ابن عبد البر فى الانتقاء على لفظين من طريقين ، ورواه أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء على لفظ آخر وأبو إسماعيل الهروى فى ذم الكلام على لفظ رابع وابن الجوزى فى مناقب أحمد على لفظ خامس ومع كل هذه الاضطرابات فى رواية حادثة واحدة زاد الخطيب فى الطين بلة وساق الخبر بلفظ أفظع من ألفاظهم فى تاريخه مع انه يزعم انه رواية يونس بن عبد الأعلى فاذا قارنت قول الخطيب (٢ — ٢٧٧) مع رواية ابن عبد البر وقد سبقت فى (ص ٣٧) وكلاهما من طريق

يونس بن عبد الأعلى تجد تصرف الخطيب الشائن وتغييره لنص الرواية ماثلين أمامك غير قابلين للستر وإن زاد فى آخر الرواية لفظ (أو ما هذا معناه) ليتسنى له التملص من تبعة تغيير النص فاذا انتبه اليه أحدهم وظهر للناس أن لفظ الخطيب يخالف لفظ ابن عبد البر فى الرواية عن يونس بن عبد الأعلى قال الخطيب لا لوم على فى هذا التحريف لأنى نقلت الحكاية بالمعنى فربما أكون غلطت فى بعض ألفاظها أما رأيت قولى فى آخر الحكاية (أو ما هذا معناه) ؟ . هكذا أمانة الخطيب فى نقل النصوص نسأل الله السلامة .

ولا يخفى أن محمد بن الحسن أفنى عمره فى فقه أبى حنيفة وسمع الحديث من مالك ولازمه ثلاث سنين فى حين أن الشافعى إنما لازم مالك ابن أنس ثمانية أشهر فقط على ما يقال فليس من المعقول أن ينال محمد بن الحسن من أبى حنيفة ومالك نيلا لا يتفق مع مالهما من المنزلة عنده فى كتبه المتواترة عنه . ورواية أبى عاصم محمد بن أحمد العامرى فى المبسوط تنافى تلك الروايات كلها كما نقله مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم ، وما هو نص رواية العامرى : (ان الشافعى سأل محمداً أيما أعلم مالك أو أبو حنيفة ؟ . فقال محمد : بماذا ؟ . قال بكتاب الله ! قال : أبو حنيفة . فقال من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فقال : أبو حنيفة ، أعلم بالمعانى ومالك أهدى للألفاظ فقال : من أعلم بأقاويل الصحابة ؟ . فأمر محمد باحضار كتاب اختلاف الصحابة الذى صنفه أبو حنيفة) إلى آخر ما ذكره العامرى وهذا هو الموافق لما كان عليه محمد بن الحسن من اجلال أبى حنيفه ومالك رحمهما الله تعالى والله تعالى أعلم .

أخذ محمد بن الحسن الفقه والحديث عن أبى يوسف وما حدث بعد ذلك من الجفاء بينهما

كان محمد بن الحسن بعد أن مات أبو حنيفة لازم مجلس أبى يوسف يأخذ عنه الفقه والحديث حتى تم له ما أراد من التفقه فى دين الله ثم قام

محمد بن الحسن بنشر علمهما جهده وهو راوية فقه أبي حنيفة وأبي يوسف في المبسوط والجامع الصغير والسير الصغير وناشر مذهبه نفسه في باقي كتبه سواء ذكر أو لم يذكر أقوالهما وقد روى الطحاوي عن ابن عمران عن محمد بن عبد الرحمن الطبري عن إسماعيل بن حماد انه قال : كان محمد بن الحسن يبكر إلى مجالس الحديث ونبكر نحن إلى أبي يوسف فيجيء محمد وقد مضت مسائل ونحن نتحدث فيعيد عليه أبو يوسف ما مضى فجاء يوماً ونحن نتحدث فسأله أبو يوسف عن مسألة مرت من المسائل فأجاب محمد فيها بخلاف ما مضى . فقال له أبو يوسف ليس هذا الجواب فتنازعا فيها فقال محمد ليس هذا قوله . إلى أن دعى بالكتاب فاذا الجواب كما قال محمد بن الحسن فقال أبو يوسف هكذا يكون الحفظ اهـ . وروى عن بعض أجلة أصحاب أبي يوسف أنه سأل أبا يوسف عن مسألة فأجاب ثم سأل محمداً فخالفه واحتج بدلائل . ثم قال له : إن أبا يوسف يخالفك فهل لك أن تجتمع معه فاجتمعا في المسجد فتناظرا قال السائل ففهمت إلى قليل ثم دق الكلام فلم أفهم .

وقال الخطيب أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب قال أنبأنا محمد بن حميد المخرمي قال أنبأنا علي بن الحسين بن حبان قال وجدت في كتاب أبي بخط يده قال أبو زكريا يعني يحيى بن معين سمعت محمد ابن الحسن صاحب الرأي وقيل له سمعت هذه الكتب من أبي يوسف . قال : لا والله ما سمعتها منه ولكني من أعلم الناس بها وما سمعت من أبي يوسف إلا الجامع الصغير اهـ .

وقال ابن أبي العوام حدثني محمد بن أحمد بن حماد قال حدثني أحمد بن القاسم البرتي أبو الحسن قال سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت الحسن بن زياد يقول من زعم أنه سمع هذه الكتب يعني العتق من أبي يوسف بالكوفة فقد كذب إنما كانت روزنا مجات ينظر فيها بالليل

وينبطح فيها بالنهار قال محمد بن شجاع ولكنها قد قرئت على أبى يوسف ببغداد وسمعها أصحابنا قال محمد ابن شجاع سمعت إسماعيل بن الفضل وأبا على الرازى وجماعة من أصحابنا يذكرون أن أبا يوسف سئل أسمع محمد بن الحسن منك هذه الكتب ؟ فقال أبو يوسف : سلوه . فأتينا محمداً فسألناه فقال ما سمعتها ولكن أصححها لكم ا هـ .

وروى الطحاوى عن ابن أبى عمران عن الطبرى انه سمع معلى بن منصور يقول : لقينى أبو يوسف بهيئة القضاء فقال لى يامعلى من تلزم اليوم ؟ . قلت ألزم محمد بن الحسن . فقال : الزمه فانه أعلم الناس . قال ثم لقينى بعد ذلك فقال لى : يامعلى من تلزم اليوم ؟ . قلت : محمد بن الحسن . قال : الزمه فانه من أعلم الناس . فحطه من المرتبة الأولى إلى الثانية ا هـ . ولعل ذلك بسبب ما حدث بينهما من الجفاء لأجل القضاء وذلك ما رواه ابن أبى العوام عن الطحاوى عن أبى خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة انه قال : إنما كان سبب مخالطة محمد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف شوور فى رجل يولى قضاء الرقة فقال ما أعرف لكم رجلا يصلح لها غير محمد بن الحسن وهو بالكوفة فان شئتم فأشخصوه قال فبعثوا إليه فأشخصوه فلما قدم جاء إلى أبى يوسف فقال ما السبب الذى أشخصت من أجله ؟ . فقال له : شاورونى فى قاض للرقة فأشرت بك ، وأردت بذلك معنى أن الله عز وجل قد بث علمنا هذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق فأحببت أن تكون بهذه الناحية ليبث الله عز وجل علمنا بك بها وبعدها من الشامات . فقال له محمد : سبحان الله أما كان لى فى نفسى من المنزلة ما أخبر بالمعنى الذى من أجله أشخص قبل ذلك فقال له أبو يوسف : هم أشخصوك . ثم أمره أبو يوسف بالركوب فركبا جميعا حتى دخلا على يحى بن خالد بن برمك فرفع يحى أبا يوسف إلى جنبه وقعد محمد دونه فقال أبو يوسف ليحيى : هذا محمد فشأنكم به . فلم يزل يحيى

يخوف محمداً حتى ولي قضاء الرقة وكان دلك سبب فســاد الحال بين أبى يوسف ومحمد ا هـ • وقد ذكر الذهبى ذلك أيضا فى جزئه ، وهذا هو السبب الوحيد لمـا حدث بينهما من الجفاء لأن محمد بن الحسن كان شديد الرغبة فى الابتعاد عن الحكم بالانصراف إلى العلم والتعليم على طريقة أبى حنيفة وقد حال دون ما يتوخاه ما فعله أبو يوسف فى حقه فتألم جداً حتى هجره إلى أن مات أبو يوسف رحمه الله وهو هاجر له بل يقال إن محمداً لم يحضر الصلاة عليــه كما جرى مثل ذلك بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وبين الحسن وابن سيرين وغيرهم لكن الراجح عندى أن سبب عدم حضور محمد فى جنازته ببغداد كونه بالرقة وهو قاض بها لأن عزل محمد بن الحسن من قضاء الرقة بعــد وفاة أبى يوسف فى عهد قضاء أبى البخترى كما سيأتى فكيف يمكنه الحضور فى الجنازة مع إقامته بالرقة •

قال السرخسى فى شرح السير الكبير : لم يذكر محمد فى شيء من كتاب السير الكبير اسم أبى يوسف لأنه صنفه بعد استحكام النفرة بينهما وكلما احتاج إلى رواية حديث عنه قال أخبرنى الثقة وهو مراده حيث يذكر هذا اللفظ أ هـ • ثم ذكر السرخسى خرافة يتحاكاها بعض الاخباريين عن معلى وغيره بدون ســند وهى أقصوصه التفاف أهل العلم حــول محمــد بن الحسن وازدحام المتفقهة بمجلســة ببغداد بعــد أن تولى أبو يوسف القضاء ، وحســد أبى يوسف له وبلوغ صيت محمد الى الرشيد ورغبة الرشيد فى مجالســته وتقريبه وتدبير أبى يوسف إبعاد محمد من مجلس الرشيد قبل أن يتصل به ويعلم مبلغ فضله بأن يقول للرشــيد ان بمحمد سلس بول لا يستطيع معه اطالة الحديث بالمجلس ويكلم محمداً بأن الرشــيد سريع الملل ويوصيه بالقيام عند ما يشــير أبو يوسف ثم سعيه فى إبعاده عن بغداد حاضرة الخلافة بعد أن قابل الرشــيد وأحبه • بأن يوليه قضاء مصر إلى آخر الرواية المصنوعة • وما كان يحق السرخسى فى فضله ونبله أن يملى مثل هــذه الأخلوقة

من كوة محبسه على تلاميذه الذين يحضرون عند كوة المحبس لتلقى شرح السير الكبير منه باذن من ولى الأمر ولا صحة لها مطلقا ولا يذكرها إلا بعض الاخباريين الذين يدونون الأقاصيص بدون سند لمجرد التسلية حتى لا يوجد شيء من هذا القبيل فى كتب الخصوم قبل زمن السرخسى وهم سراع إلى إذاعة مثلها ولو كانوا ظفروا بها لطاروا بها فرحا وأذاعوها فلا شك فى كذبها واختلاقها .

هى الكذب من اى النواحى اتيتها !!

فمثل أبى يوسف فى جاهه العريض وعلمه الواسع ودينه المتين ووفرة التلاميذ ، وكثرة المؤلفات ـ وكتاب الأمالى له وحده فى نحو ثلاثمائة جزء كما يرويه أبو عاصم العامرى ـ كيف يحسد تلميذه فى كثرة جماعته بل يفتخر به ثم ان محمد بن الحسن كان بالكوفة إلى أن أشخصوه للقضاء كما سبق فكيف يرى أبو يوسف فى بغداد كثرة المترددين إلى مجلس محمد فيغيظه ذلك ويحسده ثم كيف يريد إبعاده عن حاضرة الخلافة وهو لم يكن بها بل بالكوفة ، ثم كيف يختلق عليه أبو يوسف مرضا لم يكن به فهل بلغ بأبى يوسف الحمق إلى أن يعرض نفسه للافتضاح بانتداب الرشيد طبيبا يداوى مرض محمد ابن الحسن وعدد الأطباء ببابه كثير أفلم يذكر فى القصة أن الرشيد كان أحبه ، ثم هو لم يشخص لقضاء مصر بل لقضاء الرقة وهى عاصمة الصيف لخلفاء بنى العباس وفى ذلك غاية القرب إلى مجالس الخلفاء على أن عادة محمد فيما يرويه عن أبى يوسف بعد هذا التجافى أن يقول حدثنى الثقة يريد أبا يوسف فكيف يمكنه أن يصف أبا يوسف بالثقة على تقدير صدور تلك المخازى منه . وهكذا تكون الأكاذيب مصحوبة فى الغالب بما يظهر اختلافها ولعل عذر السرخسى فى سرده الأقصوصة على هذا الوجه انه كان فى المحبس بعيداً عن الكتب وإنما كان يملى ما يمليه عن ظهر القلب وكانت تلك القصة علقت بذهنه من قبل من

بعض كتب الأسمار ولم يتسع وقته لتمحيصها فوقع فى أحبولة تخليلها فيما يمليه وكنا نعهد منه جبلا من جبال العلم لا يتزحزح فى أبحاثه الفقهية فعز علينا أن نراه يملى مثل هذه الأخلوقة المكشوفة فى كتابه الخالد لكن أبى الله أن يصح إلا كتابه كما قال الشافعى للمزنى حينما عرض الرسالة عليه مرات وكان الشافعى يجد فى كل مرة ما يصلحه فيها فقال دعها فان الله أبى أن يصح إلا كتابه أو ما هذا معناه .

زهد محمد بن الحسن فى الحكم وبعده عن المداهنة لأرباب الحكم وصراحته فى بيان الحق

وقد علمت أن لأبى يوسف حق الأستاذية عليه ومع ذلك هجره طول حياته بسبب حمله على قبول قضاء الرقة رغبة من أبى يوسف فى نشر علم محمد فى الرقة وما والاها من الشامات وهى رغبة محمودة منه لكن محمد بن الحسن استاء من ذلك غاية الاستياء حيث كان يعتبره صارفا عن العلم مع مخالفة قبول القضاء لخطة أبى حنيفة حتى يروى أن أبا يوسف لما قبل القضاء فى أواخر عهد المهدى كان محمد غيره بذلك فدعا عليه أبو يوسف قائلا : لا قبض الله روحه قبل أن يبتلى بالقضاء . فابتلى بقضاء القضاة قبل وفاته بمدة بعد أن عزل من قضاء الرقة ومنع من الافتاء مدة طويلة بسبب جوابه الصريح فى مسألة أمان الطالبى المذكورة فى تاريخ ابن جرير وكتاب ابن أبى العوام وكتاب الصيمرى بأسانيدهم من طرق عديدة بألفاظ متقاربة فى المعنى . قال أبو عبد الله الصيمرى أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرى قال حدثنا القاضى أبو بكر مكرم قال حدثنا أحمد بن عبيد الله الثقفى قال حدثنا أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز قال حدثنى بكر بن محمد العمى قال حدثنى محمد بن سماعة قال سمعت محمد بن الحسن يقول لما ورد الرشيد الرقة أحضرت فدخلت اليه أنا والحسن بن زياد وأبو البخترى وهب بن وهب (وهو قاضى القضاة بعد وفاة أبى يوسف) فأخرج الينا الأمان

الذى كتب ليحيى بن عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام) فدفع إلى فقرأته ... فآثرت أمر الله والدار الآخرة فقلت هـذا أمان مؤكد لا حيلة فى نقضه (وفى لفظ الطحاوى رواية ابن أبى العوام ، فجعل ذلك الطالبى على نطع وعلى رأسه رجل فى يده سيف والطالبى يناشـد وقد كان هرون أمنه) فانتزع الصك من يدى ودفع إلى الحسن ابن زياد فقرأه وقال بكلمة ضعيفة لا أدرى أنها سمعت أو لم تسمع : هذا أمان فانتزع من يده ودفع إلى أبى البخترى فقرأه ثم قال : ما أرجئه ولا أرضـاه هذا رجل سـوء قد شق العصـا وسفك دماء المسلمين وفعل وفعل فلا أمان له . ثم ضرب بيده إلى خفه وأنا أراه فاستخرج سكينا فشـق الكتاب نصفين ثم دفعه إلى الخادم ثم التفت إلى الرشـيد فقال : أقتله ودمه فى عنقى . قال فقمنا من المجلس وأتانى رسـول الرشيد يبلغنى أن لا أفتى أحـداً ولا أحكم (وفى رواية أخرى وجعل للناس عبد الرحمن الهروى يفتيهم) فلم أزل على ذلك إلى أن أرادت أم جعفر أن تقف وقفا فوجهت إلى فى ذلك فعرفتها انى قد نهيت عن الفتيا فكلمت هى الرشـيد فأذن لى . قال محمد بن الحسن : فكنت أنا وكل من فى الدار ـ يعنى دار الرشـيد ـ نتعجب من أبى البخترى وهو حاكم وفتياه بما أفتى به وتقلده دم رجل من المسلمين ثم من حمله فى خفـه سـكينا . قال : ولم يقتل الرشـيد يحيى فى ذلك الوقت وإنما مات فى الحبس بعد مدة . (وفى رواية أخرى أنه قتل فى ذلك المجلس) قال محمد بن سماعة فى حديثه . ثم قرب الرشيد محمد بن الحسن بعد ذلك وتقدم عنـده وولاه قضاء القضاة وحمله معه إلى الرى فتوفى هو والكسائى بها فى يوم واحـد (وقيل مات الكسائى بعـد محمد بيومين) فقال الرشـيد : دفنت الفقه والنحو بالرى . وقال بكر العمى فى حديثه : إن محمد بن الحسن لمـا أفتى بصحة الأمان وأفتى أبو البخترى بنقضه وأطلق له دمه قال له يحيى (بن عبد الله الطالبى) يا أمير المؤمنين يفتيك محمـد بن الحسن وموضعه فى الفقه موضعه ،

بصحة أمانى ويفتنيك هــذا بنقضه ، وما لهذا وللفتيا ؟. وإنما كان أبوه طبالا بالمدينة أ هـ . وقال الصيمرى أيضــا : أخبرنا أبو بكر الدامغانى عن أبى جعفر الطحاوى قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن سهل الرازى بحديث يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحســن بن الحســن عن عبــد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أنه قال : أنا حاضر هــذا كله من هرون ومحمد بن الحسن وزاد فيــه فلما خرج محمــد جعل يبكى حتى كثر بكاؤه فقلت له : يا أبا عبد الله أتبكى هذا البكا من أجــل هذه الشــجة ــ وذلك أن الرشــيد كان رماه بدواة فشــجه (حينما أفتاه على خلاف هواه فى المجلس) وســالت الدماء على وجهه وثيابه وقال له : إنما يقوى عزم هــذا وأمثاله فى الخروج علينا أنت وأمثالك ــ فقال : لا والله ما من أجلها أبكى ، ولكنى أبكى لتقصيرى . قلت : وأى تقصير كان منك ؟ وقد قمت مقاما ليس لأحد على وجــه الأرض أشرف منه . قال : كان ينبغى لمــا قال أبو البحترى ما قال أن أقول له : من أين قلت ذلك ؟ حتى أقيم عليه الحجة بفســاد ما قاله أ هـ .

وأســند ابن أبى العوام عن محمد بن سماعة أنه قال : وأمر هرون أن تفتش كتب محمد بن الحسن خوفا من أن يكون فيها شىء مما يحض الطالبين على الخروج فقال لى محمد يا أبا عبد الله (يعنى ابن ســماعة وكان معه فى تلك المحنة) الله الله فى أمرى أحب أن تســبق إلى منزلى فتحفظ كتبى لئلا يلقى فيها ما ليس منها ففعلت ولمــا فتشت كتبه لم يوجد فيها شىء إلا مجموعة فيها فضــائل على عليه السلام فأتى بها إلى هرون الرشيد فقال (يعنى الرشــيد) : عنــدنا أكثر من هــذا . قال الطحاوى سمعت بكار بن قتيبة يحدث بهذا الحديث عن هلال بن يحيى عن محمد بن الحسن ويزيد فيه أن هارون التفت إلى محمد بن الحسن فقال هــذا أمان لم أكتبه إنما أمرت من يكتبه فما تقول فى رجل حلف أن لا يكتب كتابا فأمر غيره فكتبه ؟. فقال محمد : ان كان هذا الحال

من العامة لم يحنث حتى يتولى ذلك بنفسه وان كان سلطانا حنث لأن كتاب السلطان هو ما كتب بأمره • قال : فبذلك اشتد غيظ هرون عليه وفعل به ما فعل • وقال الطحاوى أيضا : قال أبو خازم فى حديثه قال بكر قال ابن سماعة فلما أمر هرون بقتل الطالبى قال له : يا هرون يقول لك محمد بن الحسن والحسن بن زياد وهما فقيها الدنيا هذا أمان صحيح فلا تقبل منهما ويقول لك هذا الكذاب الدعى هو أمان فاسد فتقبل منه وتأمر بقتلى أ هـ • يشير بذلك إلى أن أبا البخترى وهب بن وهب القاضى كان مغموزاً فى نسبه والله أعلم •

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى عن أبى خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة أنه قال : كنا مع محمد بن الحسن فى دار هرون الرشيد (يعنى بعد أن عزل محمد من قضاء الرقة وأصلح ما بينه وبين الرشيد بسعى أم جعفر) فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا هرون أمير المؤمنين فقام الناس إليه جميعا على أقدامهم غير محمد بن الحسن فانه ما برح مكانه فجعل هرون ينظر إليه فلما دخل أذن له دون الناس فقلت فى نفسى أراه يريد أن يخلو بعقوبته على تركه القيام إليه ثم خرج محمد فاتبعته إلى منزله فسألته عن حاله فقال لما دخلت عليه قال لى إنى عزمت على قتل مقاتلة بنى تغلب وأن أسبى ذراريهم فقلت ولم ذاك يا أمير المؤمنين ؟• وقد صالحهم عمر بن الخطاب على ما صالحهم عليه فقال لى : ان عمر إنما كان صالحهم على أن لا يصبغوا أولادهم يعنى غمسهم فى المعمودية وقد صبغوا الأولاد فخرجوا بذلك من الأمان فقلت إن عمر قد أقرهم بعد صبغهم الأولاد على أمانهم فدل ذلك أنه قد كان أمضى لهم أمانهم بلا شريطة عليهم فيه فقال لى إن عمر إنما كان ترك قتالهم بعد ذلك لقصر المدة فقلت له ان المدة وإن قصرت بعد ذلك فانه قد كان بعده إماما عدل طالت مدتهما فلم يهيجاهم ، عثمان وعلى فدل ذلك على أنهما كانا أمضيا لهم الصلح بلا شريطة عليهم فيه فقال لى أخرج أ هـ •

وزاد الصيمرى فى روايته بطريق ابن عطية وكان الحسن بن زياد ثقيل القلب على محمد بن الحسن فقام ودخل الناس من أصحاب الخليفة فأمهل الرشيد يسيراً ثم خرج الآذن فقال : محمد بن الحسن . فجزع أصحابه له فأدخل فأمهل ثم خرج طيب النفس مسروراً فقال قال لى : مالك لم تقم مع الناس ؟. قلت كرهت أن أخرج من الطبقة الذين جعلتنى فيهم ، إنك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج إلى طبقة الخدمة التى هى خارجة منه وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار . وانه إنما أراد بذلك العلماء فمن قام بحق الخدمة وإعزاز الملك فهو هيبة للعدو ومن قعد اتبع السنة التى عنكم أخذت فهو زين لكم . قال : صدقت . ثم سأله عن بنى تغلب — ثم ساق جوابه بنحو ما سبق — وقال فى آخره : فهذا صلح من الخلفاء بعده ولا شىء يلحقك فى ذلك وقد كشفت لك العلم ورأيك أعلى . قال : لكنا نجربه على ما أجروه إن شاء الله أمر نبيه بالمشورة فكان يشاور فى أمره ثم يأتيه جبريل بتوفيق الله ولكن عليك بالدعاء لمن ولاه الله أمرك ومر أصحابك بذلك وقد أمرت لك بشىء تفرقه على أصحابك فخرج له مال كثير ففرقه أ هـ . ومثله فى تاريخ الخطيب وتلك الأمور تدل على مبلغ صرامته فى الحق سواء تعلق بالمسلمين أو النصارى ودرجة صراحته فى ادحاض الباطل وبعده عن المداجاة والمداهنة مهما لقى فى هذا السبيل وصدق عزيمته فى خدمة العلم والدين .

نتف لطيفة وفوائد ثمينة يرويها بعض أصحابه عنه

ففى مناقب الكردرى عن الحسن بن شهوب أنه قال رأيت محمد بن الحسن يذهب إلى الصباغين ويسأل عن معاملاتهم وما يديرونها فيما بينهم أ هـ . انظر إلى هذا المجتهد العظيم كيف كان لا يكتفى بما عنده من العلم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وسائر

فقهاء الأمصار وبماله من السعة فى العلوم العربية حتى كان يرى نفسه فى حاجة إلى تعرف وجوه التعامل بين أرباب الصناعات ومعرفة وجوه الفرق بين العرف القديم والعرف الحديث الطارىء حتى يسلم كلامه من الخطأ فى أى ناحية من نواحى تبيين أحكام الشرع هكذا يكون بذل الجهد واجتهاد الرأى .

قال ابن أبى العوام حدثنى أبو جعفر الطحاوى قال سمعت إبراهيم ابن أبى داود (البرلسى) يقول سمعت يحيى بن صالح الوحاظى يقول : حججت[1] مع محمد بن الحسن (زميلا له) وقلت له حدثنى بكتابك فى كذا ـ من كتبه فى الفقه ـ فقال لى : ما أنشط له فقلت أنا أقرؤه عليك فقال لى : أيهما أخف على عندك قراءتى إياه عليك أو قراءتك على ؟. قلت : قراءتى عليك . فقال لى : لا . قراءتى إياه عليك أخف على لأنى إذا قرأته عليك استعمل بصرى ولسانى لا غير ، واذا قرأت أنت على استعملت بصرى وذهنى وسمعى فذلك أثقل على أ هـ . ونقل الذهبى أيضا فى جزئه ، والوحاظى هذا هو الذى كان يفضل محمد بن الحسن على مالك فى الفقه وهو شيخ البخارى أيضاً كما سبق بيانه ، وهى فائدة طريفة .

وذكر البدر الزركشى فى البحر المحيط أن محمد بن الحسن قال : إذا كنا نقبل رواية أهل العدل وهم يعتقدون أن من كذب فسق فلأن نقبل رواية أهل الأهواء وهم يعتقدون أن من كذب كفر . أولى أ هـ .

قال ابن أبى العوام سمعت محمد بن أحمد بن حماد يقول سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت معلى بن منصور الرازى يقول : كان محمد

---

(١) وما فى تاريخ الخطيب (٢ ـ ١٧٩) عن اسمعيل بن عياش فى حجهما ، فى سنده على انقطاعه ضعفاء وفيه البهراتى وعنه يقول النسائى : كذاب ليس بثقة ولا مأمون .

ابن الحسن إذا خبر أن قوما يذكرون أصحاب أبى حنيفة بسوء تمثل بهذا البيت :

محسدون وشر الناس منزلة   من عاش فى الناس يوما غير محسود

وفى مناقب الكردرى عن ابن جبلة أنه قال سمعت محمداً يقول : لا يحل لأحد أن يروى عن كتبنا إلا ما سمع أو علم مثل علمنا أ هـ . وذلك أن أصحاب أبى حنيفة كانت عادتهم أن يجرى الحجاج بينهم فى المسألة يومين أو ثلاثة أيام ثم يدونون المسألة من غير ذكر الحجة فى الغالب اكتفاء بما طال الأخذ والرد بشأنه بذكر الحجج قبل التدوين فاذا سمع أحد المتفقهة منهم يدلون بالحجة يسكن اليها قلبه ، وكذا إذا علم مثل علمهم وإلا يكون أمره تقليداً أعمى .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى عن إبراهيم بن أبى داود أنه قال سمعت يحيى بن صالح الوحاظى يقول حججت مع محمد بن الحسن فلما كنا بمنى رأيت خالد بن عبد الله (وهو أبو الهيثم الواسطى) فصرت إلى مجلسه فازدحم عليه أصحاب الحديث حتى آذوه . فقال : عسى لو سئل هؤلاء عن مسألة من الفقه ما عرفوا الجواب فيها . فقلت : أصلحك الله سلهم فعسى أن يكون فيهم من ليس كذلك . فسأل عن مسألة فأجبته أنا فيها فاستحسن جوابى وقال لى ممن تعلمت هذا ؟ فقلت من محمد بن الحسن وهو حاج معك . قال فقال لى : إذا فرغنا فامض بى إلى مضربه حتى أسلم عليه فلما مضيت معه إلى محمد بن الحسن فلما رآه قام اليه وأعظمه أ هـ .

وروى أيضا عن الطحاوى عن ابن أبى عمران أنه سمع الطبرى يقول قال لى حميد أبو العباس كانت الحلقة فى المسجد يوم الجمعة ببغداد لبشر بن الوليد فلم يزل كذلك ونحن نجالسه فيها حتى قدم محمد بن الحسن علينا (من الرقة) فأتيناه فكنا نتعلم منه مسائله هذه ثم نأتى

بشر بن الوليد فنسأله عنها فتؤذيه بذلك فلما كثر ذلك عليه ترك لنا الحلقة وقام عنها . قال الطحاوى فسمعت ابن أبى عمران يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن الحسن بن أبى مالك يقول رأيت بشر بن الوليد يوماً عند أبى وقد ذكر محمد بن الحسن فنال منه فقال له أبى : لا تفعل يا أبا الوليد ثم قال له . هــذا محمد قد صار له فى يد الناس ما صار من هذه الكتب التى فيها مسـائله التى ولدها وعملها فنحن نرضى منك أن تتولى لنـا وضـع سـؤال مسألة وقد أعفاك الله عز وجـل عن جوابها . فقال الطحاوى فسمعت ابن أبى عمران يحـدث عنه أبو عن ابن الثلجى قال كانوا إذا قرءوا على الحسن بن أبى مالك مسائل محمد ابن الحسن هذه قال لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد أ هـ .

وبشر بن الوليد هذا هو راوية أبى يوسف ومنه سمع أبو يعلى الموصلى كتب أبى يوسف حتى إن الذهبى يذكر فى طبقـات الحفاظ ما معناه : لولا طول أمد سـماع أبى يعلى هذا لكتب أبى يوسف من بشر بن الوليد لعلا سـنده وأدرك فلانا وفلانا أ هـ . وهـذا يدل على ان كتب أبى يوسف من الكثرة بحيث أن اتمام سماعها يحول دون علو السـند مع سرعة المحدثين فى العرض والسماع حتى إن منهم من يسمع جامع البخارى فى ثلاثة أيام وهـذا يؤيد ما يقـال ان كتـاب الأمالى لأبى يوسف وحده فى ثلاثمائة جزء وإلا لمـا أخره سماع كتبه عن علو السـند والله أعلم ، والحسن بن أبى مالك من أنبه أصحاب أبى يوسف وأفقههم رحمهم الله .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى أيضا عن سليمان بن شعيب الكيسانى عن أبيه قال : أملى علينا محمد بن الحسن وقال : إذا اختلف الناس فى مسألة فحرم فقيه وأحل آخر وكلاهما يسعه أن يجتهد رأيه فالصواب عند الله عز وجل واحد ، حلال أو حرام ولا يكون عنده حلال وحرام وهو شىء واحد ولكن الصواب عنده عز وجل واحـد وقد كلف

من وسعه اجتهادا لرأى ان يجتهد رأيه حتى يصيب الحق الذى عنده فى رأيه فان أصاب الحق الذى هو عند الله عز وجل فى رأيه واجتهاده وسعه ذلك وكان قد أصاب ما كلف به وأداه وان كان قد أصاب ما كلف به من اجتهاده فى رأيه ولم يصب الحق عند الله عز وجل بعينه فقد أدى ما كلف به وكان مأجوراً فاما أن يقول قائل قد أحل فقيه وحرم فقيه فى فرج واحد وكلاهما صواب عند الله عز وجل فهذا ما لا ينبغى أن يتكلم به ولكن الصواب عند الله عز وجل واحد وقد أدى القوم ما كلفوه به حين اجتهدوا وقالوا باجتهادهم ووسعهم الذى فعلوا وان كان أحدهما قد أخطأ الذى كان ينبغى أن يقول به إلا أنه قد اجتهد فقد أدى ما كلف به وان كان أخطأ لأن الصواب عند الله عز وجل فى الأشياء كلها واحد وهذا كله قول أبى حنيفة وأبى يوسف وقولنا • أ هـ •

وهذا يدل على أن أبا حنيفة وأصحابه لم يكونوا من المصوبة وأخطأ من حكى عنهم ما يوهم ذلك •

وروى أيضا عن الطحاوى قال سمعت محمد بن على (بن معبد) ابن شداد العبدى يقول سمعت أبى يقول قدمت الرقة ومحمد بن الحسن قاض عليها فأتيت بابه فاستأذنت عليه فحجبت عنه فانصرفت وأقمت بالرقة مدة لا آتيه فبينا أنا فى يوم من الأيام فى بعض طرقاتها إذ أقبل محمد ابن الحسن على دابته بهيئة القضاء فلما رآنى أقبل على واستبطأنى وكان بى من يصير بى إلى منزله فلما جلس فى منزله أدخلت عليه فقال لى : ما الذى خلفك عنى مذ قدمت ؟ ، فقد بلغنى أنك ههنا • فقلت له : آتيت منزلك فحجبت عنك وإنما أتيتك كما كنت آتيك وأنت غير قاض • فساءه ذلك وغمه فقال لى : أى حجابى حجبك ؟ • فظننت انه يريد عقوبته فلم أخبره به • فقال لى : إذالم تفعل فانى أنحيهم كلهم • فقلت له • إذن تظلم من لم يحجبنى قال فدعاهم جميعا وقال لهم لا يدلكم على أبى محمد فى حجبه عنى • ثم التفت إلى فقال • إذا جئت الينا فلا يكون

بينى وبينك الا الستر الذى يستر الناس عنى فتتنحنح حينئذ وسلم فان كنت انا على حالة يتهيأ لك الدخول فيها أذنت لك بنفسى وان كنت على غير ذلك أمسكت فانصرفت . فكنت آتيه بعد ذلك والناس على بابه فأتخطاهم وأتخطى حجابه حتى أصل إلى ستره فأتنحنح وأسلم فيقول لى . ادخل ياأبا محمد فأدخل أو يمسك فأنصرف ا هـ .

وروى أيضا عن الطحاوى عن يونس بن عبد الأعلى انه قال قال : الشافعى . كان محمد بن الحسن إذا قعد للمناظرة فى الفقه أقعد معه حكما بينه وبين من يناظره فيقول لهذا زدت ولهذا نقصت قال الطحاوى قال لنا أبو العباس الأبلى كان ذلك الرجل عيسى بن هرون ا هـ .وهذا أعدل طريقة فى المناظرة .

قال الصيمرى أخبرنا عبد الله بن محمد الشاهد قال حدثنا القاضى مكرم قال حدثنا أحمد بن محمد بن المغلس قال سمعت محمد بن سماعة يقول كان عيسى بن ابان يصلى معنا وكنت أدعوه أن يأتى محمد بن الحسن فيقول هؤلاء قوم يخالفون الحديث وكان عيسى حسن الحفظ للحديث فصلى معنا يوماً الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس فى المجلس فلما فرغ محمد أدنيته اليه وقلت له هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث . أنا أدعوه اليك فيأبى ويقول انتم تخالفون الحديث ، فأقبل عليه وقال : يابنى ما الذى رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابا من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبر بما فيه من المنسوخ ويأتى بالشواهد والدلائل فالتفت إلى بعد ما خرجنا وقال كان بينى وبين النور ستر فارتفع عنى ما ظننت أن فى ملك هذا مثل هذا الرجل يظهر للناس ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى تفقه ا هـ .

وعيسى بن أبان هذا جبل من جبال العلم وهو راوى كتاب الحجج

على أهل المدينة عن محمد بن الحسن، ومؤلف كتاب الحجج الصغير في الرد على ما ادعاه عيسى بن هرون الهاشمي رفيق المأمون في عهد طلبه للحديث من مخالفة أبي حنيفة لأحاديث صحيحة دونها الهاشمي في كتاب حتى طلب المأمون إلى العلماء أن يبدوا ما عندهم بشأن كتاب الهاشمي هذا ولم يعجبه ما كتبه إسماعيل بن حماد ولا ما سطره بشر ولا ما جمعه يحيى بن أكثم وانما أعجبه غاية الاعجاب كتاب عيسى بن أبان هذا واعتبره قاضيا على كتاب الهاشمي والقضية معروفة في كتاب ابن أبي العوام وكتاب الصيمري . ولعيسى بن أبان هذا أيضا كتاب الحجج الكبير في الرد على قديم الشافعي وهو سبب انصرافه من العراق في رحلته الأخيرة من غير أن يمكث بها إلا أشهراً يسيرة حيث لم يجد متسعا لنشر قديمه بالعراق بعد كتاب عيسى بن أبان ، ولعيسى بن أبان أيضا كتاب في الرد على المريسي والشافعي في شروط قبول الأخبار وتحتوى كتبه على تنف في الأصول ينقلها من محمد بن الحسن ، وأبو بكر الرازى كثير النقل من كتبه في أصوله . والحاصل أن عيسى بن أبان هذا يعد جبلا من جبال الحجاج في الفقه .

بعض اقوال منقولة عن احمد بن حنبل بشأن كتب محمد بن الحسن

قال الخطيب حدثني الخلال قال أخبرنا على بن عمرو أن على بن محمد النخعى حدثهم قال أخبرنا أبو بكر القراطيسي قال أخبرنا إبراهيم الحربي قال سألت أحمد بن حنبل وقلت هذه المسائل الدقائق من أين لك ؟ قال من كتب محمد بن الحسن ا هـ . ونقل الشيخ عبد الحى اللكنوى في مقدمة تعليقه على موطأ الامام محمد عن أنساب ابن السمعاني عن أحمد بن حنبل أنه قال إذا كان في المسألة قول ثلاثة لم يسمع مخالفهم فقيل له من هم ؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن فأبو حنيفة أبصرهم بالقياس وأبو يوسف أبصر الناس بالآثار ومحمد أبصر الناس بالعربية ا هـ .

وفى كتاب محنة أحمد بن حنبل عن موسى بن حزام الترمذى أنه قال كنت أختلف إلى أبى سليمان الجوزجانى فى كتب محمد بن الحسن فاستقبلنى أحمد بن حنبل عند الجسر فقال لى إلى أين ؟ فقلت : إلى أبى سليمان . فقال لى أحمد : العجب منكم تركتم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأقبلتم إلى ثلاثة إلى أبى حنيفة . فقلت كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال : يزيد بن هرون بواسط يقول حدثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يقول حدثنا محمد بن الحسن عن يعقوب عن أبى حنيفة . قال موسى بن حزام فوقع قوله فى قلبى فاكتريت زورقا من ساعته فانحدرت إلى واسط فسمعت من يزيد ابن هرون اهـ . يعنى ما تيسر من الحديث معرضاً عن التفقه . وقال عاصم بن عصام الثقفى : كنت عند أبى سليمان الجوزجانى فأتاه كتاب أحمد بن حنبل : إنك إن تركت رواية كتب محمد جئنا إليك لنسمع منك الحديث ، فكتب إليه على ظهر رقعته : ما مصيرك إلينا يرفعنا ، ولا قعودك عنا يضعنا ، وليت عندى من هذه الكتب أوتاراً حتى أرويها حسبة . كما رواه الكردرى ، وجرى من أحمد مثل ذلك نحو يحيى بن صالح الوحاظى فتلقى منه ما هو من قبيل هذا الجواب حتى إنه سمع ما هو أقسى من هذا[1] من بعض أصحابه حينما بدر من أحمد ما هو من قبيل النيل من أبى حنيفة .

فياترى ما هو الداعى له إلى هذا الاضطراب ؟ تراه يثنى على كتب محمد بن الحسن وعلمه مرة وتراه يسعى مرة أخرى فى صرف المستمعين إلى كتبه من سماعها بأن يقول هناك علو السند وهو يعلم ان السماع بعلو بدون تفقه قليل الجدوى ، وفى طور آخر يسعى عند القائمين برواية كتبه ليصرفهم أنفسهم عن روايتها بوعد التردد اليهم — إذا عدلوا عن رواية كتبه — لأخذ العلم عنهم . ومتى رأى الناس تلميذاً

---

(١) ونصه « ان قوله من قول أبى حنيفة أنفع من ملء الأرض مثلك » كما فى مناقب أحمد لابن الجوزى .

يملى على الأستاذ ما يشاء فى تخير العلوم ؟ يقول تلميذ لعالم إنى آتيك لأخذ العلم منك إذا تركت تعليم العلم الفلانى وهـذا طريف جداً . ثم تبلدر منه بادرة فتقابل بقسوة بالغة كل ذلك مما يصعب تعليله .

والحق أن أحمد بن حنبل تفقه فى مبدأ أمره عند أبى يوسف ثلاث سنين وسمع منه الحديث وكتب عنه ثلاثة قماطر من العلم كما ذكره الحافظ بن سيد الناس فى شرح السيرة وغيره ، واستفاد من كتب محمد أيضاً كما هنا . ثم زهد فى الرأى مطلقاً أعنى الفقه المستنبط . وكلامه فى رأى مالك والثورى والشافعى وأبى عبيد وأبى ثور وفتياهم معروف فى مناقب أحمد لابن الجوزى وغيره . وقد أشرنا الى بعضها فيما علقناه على الانتقاء لابن عبد البر بل انه لما سمع ان أبا يعقوب اسحق بن منصور الكوسج يروى عن أحمد نفسه مسائل فى الفقه والرأى بخراسان استاء من ذلك جداً وأشهد على نفسه انه رجع عن تلك المسائل كما ذكر غير واحد من أهل العلم مع أن كتاب اسحاق بن منصور فى مسائل أحمد وابن راهويه حقيق بأن يعد أوثق الكتب فى مسائلهما وعليه يعول الترمذى فى ذكر آراء أحمد وابن راهويه فى الجامع — وكتاب اسحاق بن منصور هذا من محفوظات الظاهرية بدمشق — ولم يكن التراجع من أحمد لبطلان تلك الفتاوى بل من تورعه من أن يكون قدوة فى الفتيا حذراً من تبعة الخطأ فيها بل قطع التحديث قبل وفاته بنحو ثلاث عشرة سنة كما ذكره أبو طالب المكى وغيره فلو كان يتحمل تبعة رواية ما عنده من الأحاديث لما ساغ له قطع التحديث وكتم العلم ، وليس بقليل بين أهل الرواية من غسل كتبه التى أفنى عمره فى سبيل جمعها وروايتها ، خوفا من تبعة الرواية .

وأنت تعلم أن جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه كان مقرونا بكثير من التروى حتى طال الأخذ والرد فى ذلك بين الشيخين إلى أن اقتنع أبو بكر رضى الله عنه بضرورة الجمع مع ظهور الحاجة اليه ،

وكذلك لما أراد عثمان رضى الله عنه تكثير نسخ القرآن وإرسالها إلى أمصار المسلمين . وكان كثير من الرواة فى الصدر الأول لا يرون بادىء بدء كتابة الحديث ولا تدوينه وكذلك التفسير والفقه إلى غير ذلك من العلوم وهذا التحرج كلما كان أقدم عهداً كان أقرب إلى العذر لكن يستغرب حدوثه فى المائة الثالثة بعد أن مضت الأمة على تدوين العلوم كلها وأقر الجمهور بالحاجة إلى ذلك .

ومن تصور ماذا كان يحدث ؟ لو لم يجمع القرآن بين الدفتين ولم ترسل نسخة المنسوخة تحت إشراف الصحابة إلى أمصار المسلمين بوضعها تحت عناية قراء معروفين ولم يدون الحديث وعلومه ولم تؤسس قواعد الأصول ولم تؤلف كتب الفقه وسائر العلوم من شرعية وأدبية وغيرها ، ولاحظ ذلك حق الملاحظة لا يتردد لحظة فى سداد ما مضت عليه الأمة . والامام أحمد بن حنبل أسوة غيره من العلماء له أن يرى ما يشاء فى الرأى والرواية والفقه والحديث تحت مسئوليته وله أن لا يرضى أن يكون قدوة فى هذا أو ذاك لكن ليس للناس أن يتخذوه قدوة فيما لا يرضى أن يكون هو قدوة فيه على خلاف رغبته وقد قام سائر الأئمة قبله وبعده بما رأوه واجبا عليهم ونحن على آثارهم مهتدون .

وصفوة القول أن الامام أحمد بن حنبل كان فى مبدأ أمره يكتب الحديث والفقه ويحسن القول فى أبى حنيفة وأصحابه ثم اضطربت أقواله فى أيام المحنة وكان آخر أمره إحسان القول فى أبى حنيفة كما ذكره أبو الورد من أئمة الحنابلة فى كتابه فى أصول الدين على ما نقله العلامة سليمان بن عبد القوى الطوفى الحنبلى فى شرح مختصر الروضة فى أصولهم وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق وهو من جملة ما مسخه ابن بدران قيض الله من يصلح من شأنه .

وأما ما يعزى إلى بعض أصحاب أحمد من الكلام فى أبى حنيفة وأصحابه فليس مما يضع من شأن هؤلاء الأئمة الفقهاء فدونك كتاب

السنة لعبد الله بن أحمد وطبقات أبي الحسين بن أبي يعلى وجامع حرب بن إسماعيل ونقض عثمان بن سعيد فنستبين منها معتقد الطاعنين فيمة طعونهم هل هي مما يلحق بهؤلاء الأئمة الفقهاء فيضع من عظيم مقدارهم أم هي مما يسفه أحلام المتقولين فيرديهم .

قول محمد بن الحسن في المسائل التي كان النزاع قائماً فيها في عهده مما يتعلق بالاعتقاد

قال الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في شرح السنة : حدثنا إسماعيل بن الحسين البخاري المعروف بالزاهد بالري قال سمعت أبا محمد سهل بن عثمان بن سعيد قال حدثنا أحمد بن خالد قال سمعت أبا عبد الله بن أبي حفص قال سمعت أبا عصمة سعد بن معاذ الدورقي يقول سمعت أبا سليمان الجوزجاني يقول سمعت محمد بن الحسن يقول : من قال القرآن مخلوق فلا تصلوا خلفه ا هـ . يعني ما هو قائم بالله ، واما خط الكاتب وصوت التالي ، والصور الذهنية في ذهن الحافظ فحدوثها محسوس مشاهد فمن حاول انكار ذلك واكفر فيما هو غير قائم بالله فهو مكابر للحس معاند للبديهة مهما كان مقامه بين الرواة فيرثى لدين من دون في كتابه سياق ما روى في تكفير من وقف في القرآن ، يريد من وقف عن النطق بأنه غير مخلوق بالنظر إلى عدم ورود ذلك في الكتاب والسنة الصحيحة ، وسياق ما روي في تكفير من قال لفظي بالقرآن مخلوق بناء على حدوث اللافظ ولفظه . وبلغ غلو بعض الرواة في ذلك مبلغا يخاف منه وتصرح بكل أسف أن ابن أبي حاتم وبنو منده الحفاظ في عداد هؤلاء الغلاة .

وقال اللالكائي أيضاً أخبرنا محمد بن سليمان ثنا أبو علي الخسرو ابن يوسف بن يعقوب ثنا أبو محمد أحمد بن علي بن زيد الغجدواني ثنا أبو عبد الله محمد بن أبي عمرو الطواويسي ثنا عمرو بن وهب قال

سمعت شداد بن حكيم يذكر عن محمد بن الحسن فى الأحاديث التى جاءت — إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث — أن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها اهـ . وقال أيضاً أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص حدثنا محمد بن أحمد بن سلمة حدثنا أبو محمد سهل بن عثمان بن سعيد بن حكيم السلمى سمعت أبا إسحق إبراهيم بن أحمد يقول سمعت أبا سليمان داود ابن طلحة يقول سمعت عبيد الله بن أبى حنيفة الدبوسى يقول سمعت محمد ابن الحسن يقول : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على أن الايمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شىء اهـ .

وهذا يرد على المتقولين بأنه كان يدعو إلى القول بخلق القرآن أو إلى رأى جهم وكان لا يرى الخوض فى الصفات كما هو مذهب السلف الصالح وهو المختار بالنظر إلى ذلك العهد ثم جد من النحل ما يقضى بضرورة التأويل دفعاً للشبه وقمعاً للقائلين بالصوت والحركة ونحوهما فى جانب الله تعالى الله عن ذلك . وقال الصيمرى اخبرنا عبد الله بن محمد نا مكرم نا محمد بن مسرور ثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد قال حدثنا شعيب بن أيوب عن الحسن بن زياد قال سمعت محمد بن الحسن يقول : مذهبى ومذهب أبى حنيفة وأبى يوسف ، أبو بكر ثم عمر ثم على ثم عثمان (رضى الله عنهم) اهـ . وقوله فى الايمان كقول أبى حنيفة فيه أنه العقد والكلمة وتفصيل ما كان عليه من المعتقد فى الأبواب كما هو مبين فى عقيدة الطحاوى ، ومن ضاق صدره من ذلك وأخذ يرميه بالتجهم أو الارجاء فهو بعيد عن السنة بعد الأرض عن السماء .

بعض كلمات أهل العلم في الثناء على محمد بن الحسن

ذكر ابن أبي العوام الحافظ بسنده أن مالك بن أنس قال يوما وعنده أصحاب الحديث : ما يأتينا من ناحية المشرق أحد فيه ممنى — وكان في الجماعة محمد بن الحسن فوقعت عينه عليه فقال — إلا هذا الفتى ا هـ . وأنت تعلم انه أتاه ابن المبارك ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وهو فضله بهذا اللفظ عليهم ، وذكر أيضاً بسنده أن الشافعي قال : ما رأيت أعلم بكتاب الله عز وجل من محمد بن الحسن كأنه عليه نزل ، وقال أيضا : ما سمعت أحداً قط كان إذا تكلم رأيت أن القرآن نزل بلغته غير محمد بن الحسن ، ولقد كتبت عنه حمل جمل بختي ذكر . قال وإنما ذكرت البختي الذكر لأنه يحمل أكثر مما يحمل غيره الابل ، وذكر أيضا أن المزني قال له رجل قال محمد . فقال له : من محمد؟ قال ابن الحسن فقال مرحبا بمن يملأ الأذن سمعا والقلب فهما ثم قال ما أنا قلته ، الشافعي قاله . وذكر الصيمري بسنده ان الشافعي قال : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً إني لأعرف الأستاذية على لمالك ثم لمحمد بن الحسن ، وقال أيضاً لو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن ما جالست فقيها قط فقه منه ولا فتق لساني بالفقه مثله لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئاً يعجز عنه الأكابر ، وقال أيضا : لقد كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولولاه ما فتق لي من العلم ما افتتق والناس كلهم عيال على أهل العراق وأهل العراق كلهم عيال على أهل الكوفة وأهل الكوفة كلهم عيال على أبي حنيفة ، وقال المزني عن أصحاب محمد ابن الحسن : كانوا والله يملؤن الآذان إذا تكلموا ويفتحون للفقهاء ما ينغلق عليهم إذا عقلوا ، فنظر اليه أصحابه فقال والله ما أنا قلته من قبل نفسي حتى سمعت الشافعي يقول ما هو أكثر منه ، وقال الشافعي أيضا : ما رأيت أفصح من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لي تغير وجهه إلا محمد بن الحسن .

وذكر الخطيب بسنده قال الشـــافعي : لو أشاء أن أقول أن القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقلته لفصاحته وقال أيضاً : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن وما رأيت أفصـــح منه ، وقال أيضا ما رأيت أعقل منه ، وقال أيضاً حملت من محمد بن الحسن وقر بختى كتبا ، وقال أيضا كان محمد بن الحسن الشيباني إذا أخذ في المســـألة كأنه قرآن ينزل عليـــه لا يقدم حرفا ولا يؤخر ، وقال أيضا لرجل قال له خالفك الفقهاء : وهل رأيت فقيها قط ؟ إلا أن تكون رأيت محمد بن الحسن فانه كان يملأ العين والقلب وما رأيت مبدنا قط أذكى من محمد ابن الحسن : وقال أيضا : أمن الناس على في الفقه محمد بن الحسن .

وذكر كثيراً منها النووى في التهذيب والذهبي في جزئه ومن جملة ما ذكره الذهبي في جزئه ما رواه ابن كاس النخعي عن أحمد بن حماد بن ســـفيان عن الربيع عن الشافعي انه قال : ما رأيت أعقل ولا أفقه ولا أزهد ولا أروع ولا أحسن نطقا وايراداً من محمد بن الحسن .

وقال الذهبي لم يروه غير أحمد بن حماد أقول أحمد بن حماد لم يتكلموا فيه وله شواهد ، وفي مناقب الكردرى عن الشافعي أنه قال : أعانني الله برجلين بابن عيينة في الحديث ومحمد بن الحسن في الفقه ، وفيه عنه أيضا : لقيته أول ما لقيته وهو قاعد في الحجرة وقد اجتمع عليـــه الناس فنظرت إلى وجهه وكان من أحسن الناس وجها فاذا جبينه كأنه عاج ثم نظرت إلى لباســـه وكان من أحسن الناس لباساً وسألته عن مسألة فيها خلاف وإني أطمع أن يلحقه ضعف أن أن يلحن في كلامه فمر كالسهم فقوى مذهبه ولم يلحن في كلامه ، وفيه أيضا عنه : كنت أختلف إلى محمد بن الحسن وأجالســـه حتى سمعت كتبه ، وفيه أيضاً عنه : ليس لأحد على منة في العلم وأســـباب الدنيا ما لمحمد بن الحسن على . وكان يترحم عليه في عامة الأوقات . وفيه عنه أيضاً : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام والناســـخ والمنســـوخ من محمد . وفيه عنه أيضا :

ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من محمد بن الحسن كأنه كان يوفق لها .
وفيه عنه أيضا : ما رأيت مثل محمد ينطق بالحكمة ويسمع ما لا يحب فيحتمل .

وذكر البدر العينى فى (مغانى الأخيار فى رجال معانى الآثار) عن ابن الأثير وابن كثير وغيرهما من أقوال الشافعى فى محمد بن الحسن ما لا يخرج مما تقدم ، وكذا التقى التميمى فى طبقاته .

وأخرج ابن أبى العوام بسنده عن داود الطائى انه قال فى حق محمد بن الحسن ـ وهو حدث ـ : إن عاش فسيكون له شأن وعن أبى يوسف فى حفظ محمد بن الحسن ـ وهو شاب : هكذا يكون الحفظ . وعنه أيضاً فى حق محمد بن الحسن ـ وهو صغير ـ : أى سيف هو غير أن فيه صدأ وهو يحتاج إلى جلاء ، وعنه أيضاً فى حق محمد : هو أعلم الناس ، وفى لفظ من أعلم الناس . وعن يحيى بن معين: كتبت الجامع الصغير عن محمد بن الحسن أ هـ ـ وهو فى تاريخ ابن معين رواية الدورى عنه وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق ـ وأخرج ابن أبى العوام أيضا عن الحسن بن أبى مالك أنه قال حينما قرءوا عليه مسائل محمد بن الحسن هذه : لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد أ هـ وأسانيد ذلك كله فى كتاب ابن أبى العوام الحافظ .

وأخرج الصيمرى بسنده عن أبى عبيد أنه قال : ما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن أ هـ . وفى مناقب الكردرى عن محمد بن سلام أنه قال : أنفقت على كتب محمد عشرة آلاف درهم ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اشتغلت إلا بكتب الرجل الصالح محمد بن الحسن . وسئل عيسى بن أبان ، أبو يوسف أفقه أم محمد ؟ فقال اعتبروا بكتبهما . يعنى أن محمداً أفقه . وعن محمد

ابن سلمة : أنه جزأ الليل ثلاثة أجزاء جزء للنوم ، وجزء للصلاة ، وجزء للدرس . وكان كثير السهر فقيل له : لم لا تنام ؟. قال كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين تعويلا علينا وهم يقولون إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا فاذا نمنا ففيه تضييع للدين أ هـ .

وفى تاريخ الخطيب (ج ٢ ص ١٧٤) بسنده إلى إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة أنه قال : كان محمد بن الحسن له مجلس فى مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة أ هـ . وذكر الذهبى فى جزئه : ويحكى عن محمد بن الحسن ذكاء مفرط وعقل تام وسؤدد وكثرة تلاوة ، قال الطحاوى : سمعت أحمد بن أبى عمران يحكى عن بعض أصحاب محمد ابن الحسن أن محمداً كان حزبه فى كل يوم وليلة ثلث القرآن ، قال أبو خازم سمعت بكر بن محمد العمى يقول : إنما أخذ ابن سماعة وعيسى بن أبان حسن الصلاة من محمد بن الحسن انتهى ما ذكره الذهبى .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى عن ابن أبى عمران عن محمد ابن شجاع أنه كان يقول على انحرافه من محمد بن الحسن (ميلا منه إلى شيخه الحسن بن زياد) : ما وضع فى الاسلام كتاب فى الفقه مثل جامع محمد بن الحسن الكبير . وروى أيضاً عن الطحاوى عن محمد بن الحسن بن مرداس عن محمد بن شجاع أنه قال : مثل محمد ابن الحسن فى الجامع الكبير كرجل بنى داراً فكان كلما علاها بنى مرقاة يرقى منها إلى ما علاه من الدار حتى استتم بناءها كذلك ثم نزل عنها وهدم مراقيها ثم قال للناس : شأنكم فاصعدوا أ هـ .

والحق أن هذا الكتاب آية فى الابداع ينطوى على دقة بالغة فى التفريع على قواعد اللغة وأصول الحساب خلا ما يحتوى عليه من المضى على دقائق أصول الشرع الأغر فلعله ألفه ليكون محكا لتعرف نباهة

الفقهاء وتيقظهم فى وجوه التفريع ، يحار العقل فى فهم وجوه تفريعه فى ذلك إلى أن تشرح له وهو كما قال ابن شجاع أولا وآخراً إلا أن مراقى الكتاب أعيدت إلى أبواب الكتاب كما يظهر من شرحى الجمال الحصيرى على الجامع الكبير حيث يقول فى صدر كل باب من أبواب الكتاب : أصل الباب كذا ، وبنى الباب على كذا . فبذلك سهلت معرفة وجوه التفريع جداً .

قال محمد بن سعد : نشأ بالكوفة وطلب العلم وطلب الحديث وسمع سماعا كثيراً وجالس أبا حنيفة وسمع منه ونظر فى الرأى فغلب عليه وعرف به ونفذ فيه وقدم بغداد فنزلها واختلف اليه الناس وسمعوا منه الحديث والرأى أ هـ .

وذكر الخطيب بسنده عن على بن المدينى أنه سئل عن محمد بن الحسن فقال صدوق ومثله فى المنتظم لابن الجوزى وتعجيل المنفعه لابن حجر وقال الذهبى فى جزئه احتج الشافعى به فى الحديث وقال الذهبى أيضاً فى ميزان الاعتدال : لينه النسائى وغيره من قبل حفظه وكان من يحور العلم والفقه قويا فى مالك أ هـ . فياليت شعرى كيف يكون قويا فيما سمعه عرضا ، ليناً فى ما أفنى فيه عمره وحقاً ان أهل الجرح قعدوا على شفا حفرة من النار كما يقول ابن دقيق العيد ، وقال البدر العينى فى رجال معانى الآثار : قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان قال علماء السير : كان محمد بن الحسن اماماً حجة فى جميع العلوم قلت والذى ينقله جده فى كتاب الضعفاء فى حقه عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين تحامل فحاشى هذين الامامين أن يتكلما بسوء فى مثل الامام محمد مع علمهما واعترافهما بعلمه الغزير وديانته وأمانته وثقته وورعه وزهده ومناقبه كثيرة جداً انتهى ما ذكره البدر العينى .

وقال ابن أبى حاتم عن أبيه ان فى كتاب السير لمحمد بن الحسن صاحب الرأى عن الواقدى أحاديث فلم يضبطوا عن محمد بن الحسن

ورووا عن محمد بن الحسن عن الواقدى أحاديث وروى الباقى عن محمد ابن الحسن عن مشايخ الواقدى مثل خارجة بن عبد الله بن سليمان بن ثابت ، وعن محمد بن هلال ، وعن الضحاك بن عثمان وهذا كله عن الواقدى عن محمد بن الحسن عن هؤلاء المشايخ أ هـ .

فان كان يريد بالكلام المذكور الطعن فى تلك الأحاديث باعتبار أنها مروية بطريق الواقدى فالواقدى وثقه غير واحد من الأقدمين وإن طعن فيه أناس لأسباب لكنها غير مقبولة عند هؤلاء وان كان يريد أنه يروى مرة عن الواقدى عن المشايخ ثم يروى أحاديث أخر عن هؤلاء المشايخ مباشرة من غير توسط الواقدى فما المانع من أن يكون محمد سمع أحاديث من الواقدى عن مشايخه وسمع أحاديث أخر عن هؤلاء المشايخ مباشرة ومحمد قديم الحج وقد أدرك من هو فى طبقة هؤلاء من مشايخ المدينة كأسامة الليثى وعبيد الله العمرى وابن أبى ذئب . وقد قال البدر العينى رواية عن أبى حفص : أن الواقدى كان يأتى إلى محمد ابن الحسن فيقرأ عليه محمد كتاب المغازى ويقرأ عليه الواقدى كتاب الجامع الصغير ، ومثله فى مناقب الكردرى . وهذا من رواية الأقران بعضهم من بعض وكيف يستغنى محمد عن مثل الواقدى فى المغازى ولم يستغن أبو يوسف عن محمد بن إسحاق فى ذلك ولا يتحاكم فى مثل هذا الامام الجليل إلى مثل العقيلى وابن عدى من أذيال الحشوية . وكان محمد بن الحسن بعيداً عن مدار حشوية الرواة صريحا فى استسخاف أحلامهم كشيخه أبى حنيفة فطالت ألسنتهم فيهما بخلاف أبى يوسف فانه كان يداريهم حتى قالوا أبو يوسف كان منصفاً فى الحديث وأما أبو حنيفة ومحمد فكانا مخالفين للأثر . وليس بين أئمتنا من يناهض السنة الصحيحة ولكن من يرى جلوس الرب على العرش وحركته وقدم الحرف والصوت والانحياز إلى الخوارج فى مسألة الايمان أو إلى القدرية يتقول ما يشاء من غير أن يلتفت إلى هرائه أحد سوى أشكالهم فى الغواية هداهم الله .

كتب محمد بن الحسن ومصنفاته

لم يصل إلينا من أى عالم فى طبقته ، كتب فى الفقه قدر ما وصل إلينا من محمد بن الحسن بل كتبه هى العماد للكتب المدونة فى فقه المذاهب فكم رأينا بين المحامين الباحثين فضلا عن قضاة الشرع الفقهاء من يرغب رغبة صادقة فى نشر كتب محمد بن الحسن اعترافاً منهم بأن كتبه هى أسس الكتب المدونة فى فقه المذاهب .

وقد قام جماعة من فطاحل العلماء بالهند تحت رياسة العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء حفظهم الله بالبحث عن كتب الأقدمين من الفقهاء فى خزانات العالم لنشرها تترى ومسعاهم هذا مشكور جداً لقيامهم بواجب عظيم كان أهل الشأن أهملوه قرونا سدد الله سبحانه خطواتهم ووفقهم لانتاج هذا العمل النافع انه سميع مجيب .

ولا يخفى مبلغ استمداد الكتب المدونة فى المذاهب من كتب محمد ابن الحسن فالأسدية التى هى أصل المدونة فى مذهب مالك إنما ألفت تحت ضوء كتب محمد كما سبق والشافعى إنما ألف قديمه وجديده بعد أن تفقه على محمد وكتب كتبه وحفظ منها ما حفظ ، وابن حنبل كان يجاوب فى المسائل من كتب محمد وهكذا من بعدهم من الفقهاء .

فأكبر ما وصل الينا من كتب محمد هو كتاب الأصل المعروف بالمبسوط وهو الذى يقال عنه أن الشافعى كان حفظه وألف الأم على محاكاة الأصل وأسلم حكيم من أهل الكتاب بسبب مطالعة المبسوط هذا قائلا هذا كتاب محمدكم الأصغر فكيف كتاب محمدكم الأكبر . وهو فى ستة مجلدات وكل مجلد منها نحو خمسمائة ورقة يرويه جماعة من أصحابه مثل أبى سليمان الجوزجانى ومحمد بن سماعة التميمى وأبو حفص الكبير البخارى وقد قدر الله سبحانه ذيوعا عظيما لهذا الكتاب يحتوى على فروع تبلغ عشرات الألوف من المسائل فى الحلال

والحرام لا يسع الناس جهلهـا وهو الكتاب الذى كان أبو الحسن بن داود يفاخر به أهل البصرة وطريقته فى الكتاب سرد الفروع على مذهب أبى حنيفة وأبى يوسف مع بيان رأيه فى المسـائل ولا يسرد الأدلة حيث تكون الأحاديث الدالة على المسـائل بمتناول جمهور الفقهاء من أهل طبقته وإنما يسردها فى مسائل ربما تعزب أدلتها عن علمهم فلو جردت الآثار من هذا الكتاب الضخم تكون فى مجلد لطيف وتوجد عدة نسخ كاملة منه فى خزانات اصطنبول منها ما هو فى ستة مجلدات وهى نسخة مكتبة فيض الله ومنها ما هو فى أربعة مجلدات وهى نسـخ مكتبـات جار الله ولى الدين وقره مصطفى باشا ومراد ملا وأقدمها نسخة مراد ملا وكلها من رواية الجوزجانى وعدد المجلدات مما يختلف باختلاف الخط ، ويوجد فى مكتبة الأزهر مجلد من أوله وفى دار الكتب المصرية عـدة مجلدات باسم الأصـل وباسم كتاب فى الفروع من غير أن تتم بها نسخة واحـدة .

ومما وصل الينا من كتبه ، الجامع الصغير وهو كتاب مبارك مشتمل على نحو ألف وخمسمائة واثنتين وثلاثين مسألة قد ذكر فيه الاختلاف فى مائة وسبعين مسألة ولم يذكر القياس والاستحسان إلا من مسألتين وقدر الله سبحانه الذيوع البالغ له أيضا حتى شرحه أئمة أجلاء استقصى الشيخ عبد الحى اللكنوى فى (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) ذكر شراحـه . ومن جملة رواته فى اثبـات الشـيوخ ، الجوزجـانى وأبو حفص وعلى بن معبد ، وبوبه أبو طاهر الدباس والزعفرانى وليس فيه غير سرد المسائل . وكان سبب تأليفه أن أبا يوسف طلب من محمد بعد فراغه من تأليف المبسوط أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما حفظ عنـه مما رواه له عن أبى حنيفة فجمع هذا الكتاب ثم عرضـه عليه فقال نعما حفظ عنى أبو عبد الله إلا أنه أخطـأ فى ثلاث مسـائل فقال محمـد أنا ما أخطأت ولكنه نسى الرواية . ويقال إن أبا يوسف مع جلالة قدره

كان لا يفارق هذا الكتاب فى حضر ولا سفر . وطبع الجامع الصغير هذا فى الهند بتعليق الشيخ عبد الحى اللكنوى وفى اصطنبول ومصر .

ومن كتب محمد أيضاً كتاب السير الصغير يرويه عن أبى حنيفة وحاول الأوزاعى الرد على سير أبى حنيفة فجاوبه ابو يوسف . ومنها الجامع الكبير وهو كتاب جامع لجلائل المسائل مشتمل على عيون الروايات ومتون الدرايات بحيث كاد أن يكون معجزاً كما يقول الأكمل فى شرحه على تلخيص الخلاطى للجامع الكبير ، وسبق أن نقلنا قول ابن شجاع فيه : انه لم يؤلف في الاسلام مثله فى الفقه . وقال الامام المجتهد أبو بكر الرازى فى شرحه على الجامع الكبير : كنت أقرأ بعض مسائل من الجامع الكبير على بعض المبرزين فى النحو (يعنى أبا على الفارسى) فكان يتعجب من تغلغل واضع هذا الكتاب فى النحو . وروى ابن أبى العوام بسنده عن الأخفش ثناء بالغاً فى حق هذا الكتاب من جهة موافقته للعربية تمام الموافقة وكتب العلامة الشريف النقيب جمال الدين بن عبيد الله من الموصل بتاريخ المحرم سنة خمس عشرة وستمائة إلى القاضى شرف الدين بن عنين يقول فيه : كنت مذ زمن طويل تأملت كتاب الجامع الكبير لمحمد بن الحسن رحمه الله وارتقم على خاطرى منه شيء والكتاب فى فنه عجيب غريب لم يصنف مثله إلى أن سأل فيه عن مسائل استشكلها وأجاب عنها الملك المعظم عيسى وأوردها فيما رد به على الخطيب وذكر نصوصاً من الكتاب المذكور مما يدل على تغلغل محمد وشيخه فى أسرار العربية . وهذا الكتاب يعد ألقية الفقهاء ، يختبر به تفاوت مداركهم ومبلغ يقظتهم فى الفقه . وقد أقر جماهير أهل العلم باستبحار واضعه فى العربية وبأنه حجة فى اللغة كما أنه حجة فى الفقه وقد أقر بذلك ابن تيمية فى مواضع على انحرافه من أهل الرأى مع أنك ترى الشافعية أنفسهم يختلفون فى كون الشافعى حجة فى اللغة كما يستفاد من بحث مفهوم الصفة فى البرهان لابن الجوينى .

وقد شرح هذا الكتاب عشرات من الأئمة ولم تزل تلك الشروح الخالدة محفوظة فى خزانات العالم ، وتوجد نسخ عديدة من الجامع الكبير فى مكتبات اصطنبول وأقدمها نسخة مكتبة الفاتح بها وتوجد أيضا نسخة فى مكتبة ولى الدين شيخ الاسلام وفى مكتبة (ينى جامع) بها أيضاً ، وقد روى الجامع الكبير عن محمد جماعة كثيرة من أصحابه وفى جملة هؤلاء على بن معبد بن شداد .

ومنها الزيادات وزيادة الزيادات ألفهما بعد الجامع الكبير استدراكا لما فاته فيه من المسائل وتعدان من أبدع كتبه وقد عنى أهل العلم ، بشرحهما عناية كاملة وتوجد نسخ منهما فى خزانات اصطنبول وهما من الكتب المروية عنه بطريق الشهرة وغلط من ذكرهما فى عداد النوادر ويقال فى سبب تأليفه للزيادات أن أبا يوسف فرع فروعا دقيقة فى أحد مجالس إملائه ثم قال : يشق تفريع هذه الفروع على محمد بن الحسن . ولما بلغه ذلك ألف الزيادات لتكون حجة على أن أمثال تلك الفروع وما هو أدق منها لا يشق عليه تفريعها والله تعالى أعلم .

ومنها كتاب السير الكبير وهو من أواخر مؤلفاته ألفه محمد بعد أن انصرف أبو حفص الكبير إلى بخارى فانحصرت روايته فى البغداديين مثل الجوزجانى وإسماعيل بن توبة القزوينى وقد احتفى الرشيد بهذا الكتاب جداً وأسمعه ابنيه الأمين والمأمون وعظم قدر هذا الكتاب معروف وقد شرحه جماعة من الأئمة وقد طبع شرح السرخسى عليه فى الهند فى أربعة مجلدات ولشيخ مشايخنا العلامة محمد المنيب العينتابى تعليق نفيس عليه سماه (التيسير على السير الكبير) وهو موجود بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة ، وتوجد نسخ خطية من السير الكبير بمكتبات اصطنبول ، وسبق أن ترجم كتاب السير الكبير إلى اللغة التركية بقلم شيخ مشايخنا العينتابى المذكور فى عهد السلطان محمود خان العثمانى ، تسهيلا لاطلاع المجاهدين من قواد الجيوش فى الدولة

على أحكام الجهاد ، ثم طبعت الترجمة المذكورة فى اصطنبول ، وتلك الكتب الستة أعنى المبسوط والصغيرين والكبيرين والزيادات يعد ما حوته من الروايات ظاهر الرواية المذهب من حيث أنها مروية بطريق الشهرة أو التواتر ويعد باقى كتب محمد فى الفقه غير ظاهر الرواية لورود باقى الكتب بطريق الآحاد دون الشهرة والتواتر .

فمنها الرقيات وهى المسائل التى فرعها محمد بن الحسن حينما كان قاضياً بالرقة رواها عنه محمد بن سماعة وكان معه طول بقاء محمد بن الحسن بها ، ومنها الكيسانيات وهى التى رواها عنه شعيب بن سليمان الكيسانى يرويها الطحاوى عن سليمان بن شعيب عن أبيه عن محمد ويقال لها الأمالى وتوجد قطعة منها فى المكتبة الآصفية فى حيدر آباد الدكن بالهند ودائرة المعارف[1] هناك على عزم طبع تلك القطعة كما بلغنى من صديقى العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء شيخ الحديث بالمدرسة النظامية فى حيدر آباد الدكن ، ومنها الجرجانيات يرويها على بن صالح الجرجانى عن محمد ، ومنها الهارونيات وله كتاب النوادر رواية ابراهيم بن رستم ، وآخر رواية ابن سماعة ، وآخر رواية هشام بن عبيد الله الرازى وقد أصبحت تلك الكتب نوادر فى الخزانات كما أن مسائلها تعد نوادر فى المذهب .

وله كتاب الكسب يقال إنه مات قبل أن يتمه وكانوا سألوه أن يؤلف كتابا فى الورع فجاوبهم بأنى ألفت كتابا فى البيوع يريد ان المرء إذا طاب مكسبه حسن عمله فلما أصروا على الطلب بدأ فى تأليف هذا الكتاب لكن المنية حالت دون إتمامه وكان شمس الأئمة السرخسى شرح كتاب الكسب هذا كما فى التراجم ، وفى دار الكتب المصرية كتاب محفوظ تحت رقم ١١ فى فن الصناعة فى نحو خمس وأربعين ورقة يبحث

---

(١) وكم لها من أياد بيضاء على العلم مشكورة مدى الدهر .

عن المكاسب يقال انه تلخيص ابن سماعة لكتاب الكسب لمحمد مكتوب على ظهره (كتاب الاكتساب فى الرزق المستطاب) بديع فى بابه ولكن فى النفس شىء من نسبة الكتاب بهذا الاسم إلى ابن سماعة والله أعلم .

وطبع حديثا كتاب فى المخارج والحيل باسم محمد بن الحسن وهو المقيد باسم أبى يوسف بدار الكتب المصرية ، وقد قال ابن أبى العوام سمعت ابن أبى عمران يقول سمعت ابن سماعة يقول سمعت محمد بن الحسن يقول (عن كتاب فى المخارج والحيل كان يتداوله بعض الناس) : هذا الكتاب ليس من كتبنا وإنما ألقى فيها . قال ابن أبى عمران : إنما وضعه إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة . وكنت تكلمت على هذا فيما علقته على كتاب زغل العلم للذهبى بص ١٤ .

وأما الكتب التى تغلب فيها رواية الحديث من كتبه فبين أيدينا منها كتاب الموطأ تدوين محمد من روايته عن مالك وفيه ما يزيد على ألف حديث وأثر من مرفوع وموقوف مما رواه عن مالك وفيه نحو مائة وخمسة وسبعين حديثا عن نحو أربعين شيخا سوى مالك ، وهذا الموطأ من مسموعات أبى الوليد الباجى من أبى ذر الهروى كما فى أواخر شرح الموطأ له (ج ٧ ص ٣٠٠) وبه اتنشر موطأ محمد بالأندلس وأسانيد الموطأ برواية محمد مبسوطة فى أثبات شيوخنا من المشارقة وسبق ذكر أهمية هذا الموطأ عند بيان رحلة محمد إلى مالك رضى الله عنهما ، وشرحه على القارى والبيرى شارح الأشباه وعثمان الكماخى . وطبع موطأ محمد بالهند مرات مع التعليق الممجد لعبد الحى اللكنوى .

لكن أدخل حديث كان فى هامش نسخة أبى على الصواف فى الصلب خطأ وهو حديث القراءة خلف الامام من رواية الشيخ أبى على عن محمود المروزى إلى آخر السند فاضطرب لذلك اللكنوى فى رجال هذا السند ظنا منه أن أبا على هو شيخ لمحمد بن الحسن ولا دخل لمحمد بن الحسن فى هذا الحديث أصلا فان أبا على هو محمد

ابن أحمد بن حسن الصواف من رجال القرن الرابع راجع ترجمة شيخه المروزى فى تاريخ الخطيب (ج ١٣ ص ٩٤) وهناك يسوق هذا الحديث ، وإدخاله فى الصلب عمل أحد الناسخين والنسخة المنقولة عن نسخة الاتقانى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٩) على الصواب ، واضطرب الشيخ عبد الحى أيضا فى رجال حديث الشعبى فى صلاة القاعد (محمد ثنا بشر ثنا أحمد أخبرنا إسرائيل) لكن محمداً فى أول السند هو أبو على الصواف المذكور وبشر شيخه هو بشر ابن موسى الأسدى راوية موطأ محمد وأحمد هو أحمد بن مهران النسوى صاحب محمد وراوى الموطأ عنه وإسرائيل شيخ محمد بن الحسن الامام وقد سقط محمد من بين أحمد وإسرائيل كما يظهر من نسخة أخرى محفوظة بها تحت رقم (٤٤٠) أدخل الناسخ هنا خاصة عدة من الرواة المتأخرين عن محمد فى صلب السند كما هو عادة كثير من الأقدمين وقد ألف فى رجال موطأ محمد العلامة قاسم الحافظ .

ومن كتب محمد بن الحسن كتاب الحجة المعروف بالحجج فى الاحتجاج على أهل المدينة وقد وصلت إلى أيدينا قطعة كبيرة منه طبعت بالهند قديما عن النسخة المحمودية بالمدينة وسبق ذكره فى (ص ١٠) ومنها كتاب الآثار يروى فيه عن أبى حنيفة أحاديث مرفوعة وموقوفة ومرسلة ويكثر جداً عن إبراهيم النخعى شيخ الطريقة العراقية ، ويروى فيه قليلا عن نحو عشرين شيخاً سوى أبى حنيفة وهو كتاب نافع للغاية ولمشايخنا عناية خاصة بروايته فى أثباتهم وقد ألف الحافظ ابن حجر (الايثار بمعرفة رواة الآثار) فى رجاله باقتراح صاحبه العلامة قاسم الحافظ ثم ألف هو أيضاً كتاباً آخر فى رجاله ، وكذلك لمحمد مسند أبى حنيفة المعروف بنسخة محمد . ومن جملة ما يذكره محمد ابن اسحاق النديم من مؤلفاته فى فهرسته : كتاب اجتهاد الرأى ، وكتاب الاستحسان ، وكتاب الحجج يحتوى على كتب كثيرة وكتاب الخصال ، وكتاب الرد على أهل المدينة ، وكتاب أصول الفقه .

فأولية رسالة الشافعي في الأصول إنما تصح بالنسبة الى مذهبه وهو ينقض الطوائف قبله في الأصول في الأم وهاهو لمحمد كتاب في الأصول ولأبي يوسف أيضا كما ذكره طلحة الحافظ ولأبي حنيفة كتاب الرآي كما سبق كل مالك يروى أصوله عن ربيعة عن ابن المسيب كما في صلة ابن بشكوال .

أسانيد بعض كتب محمد بن الحسن
المذكورة في اثبات المشايخ

وتذكر في غالب الأثبات والمعاجم على اختلاف القرون أسانيد كثير من كتب محمد بن الحسن منها الآثار والمسند والموطأ والأصول الستة له وكان الجمال الحصيري انفرد في عصره بروايتها سماعاً بعلو عن الحسن ابن منصور الأوزجندي عن الظهير الحسن المرغيناني عن عمه أبي القاسم محمد بن عبد العزيز عن شمس الأئمة السرخسي بأسانيده المعروفة في الكتب الستة وعن الحصيري يرويها الصدر سليمان الأذرعي وعنه الشمس السروجي وعنه القطب عبد الكريم الحلبي وعنه عبد القادر القرشي وعنه القاضي الزين المراغي وعنه يحيى بن محمد الآقصرائي وعنه البرهان الكركي وعنه السراج الحانوتي وعنه ابنه محمد وعنه الخير الرملي وأسانيد مشايخنا إليه مدونة في الاثبات لكن لا بأس في أن نشير هنا الى أسانيدنا في كتب محمد بن الحسن المذكورة .

أما كتاب الآثار له فأرويه بعموم الاجازة عن شيخنا العلامة أبي الاخلاص علي[1] زين العابدين بن الحسن بن موسى الألصوني عن شيخه العلامة النحرير أستاذ الأساتذة أحمد شاكر بن خليل الاصطنبولي عن شيخه المحقق الحافظ محمد غالب الاصطنبولي عن شيخه العلامة

(١) توفي بعد أذان الجمعة ١٨ صفر سنة ١٣٣٦ عن ٧٤ سنة ودفن بمقبرة السلطان محمد الفاتح باصطنبول أغدق الله على جدثه سحب رحمته .

المسند سليمان بن الحسن الكريدى عن المحدث المعمر أبى المحاسن يوسف ابن اسمعيل عن الفقيه المحدث محمد هبة الله البعلى التاجى المتوفى سنة ١٢٢٤ (ح) وأنبأنا به عاليا بعموم الاجازة المحدث الورع الشيخ الحسن بن عبد الله القسطمونى عن أحمد حازم النوشهرى عن العلامة محمد أسعد امام زاده عن محمد هبة الله البعلى عن صالح بن ابراهيم الجينينى عن محمد بن على المكتبى عن أبى الصبر أيوب بن أحمد الدمشقى عن إبراهيم بن محمد الاجدب عن الحافظ محمد بن طولون عن أبى بكر محمد بن أبى بكر بن أبى عمر عن البرهان الحلبى الحافظ عن أبى عمر محمد بن أحمد بن أبى عمر عن أبى الحسن على بن البخارى عن ابن الجوزى عن ابن البطى عن ابن خيرون عن الصيمرى عن أبى اسحق إبراهيم بن أحمد الطبرى عن أبى بكر الرازى عن أبى عامر عمر بن تميم بن سيار عن أبى سليمان الجوزجانى عن محمد بن الحسن الشيبانى • وأرويه أيضاً بقراءة أوائله وإجازة الباقى عن محمد صالح الآمدى عن الشيخ فالح عن عبد الغنى الدهلوى عن محمد عابد السندى بسنده المذكور فى حصر الشارد بطريق ابن حجر الى أبى حفص الكبير البخارى عنه •

وأما مسند محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة بالسند إلى ابن طولون عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى عمر عن أم محمد عائشة ابنة محمد العمرى عن أبى الحجاج يوسف المزى الحافظ عن ابن البخارى عن ابن الجوزى عن ابن البطى عن الحسن بن محمد الجوهرى عن أبى بكر محمد الأبهرى عن أبى عروبة الحرانى عن جده عمرو بن أبى عمرو عن محمد بن الحسن الشيبانى • ويرويهما أيضا صالح الجينينى عن أبيه عن الخير الرملى عن محمد بن السراج عمر الحانوتى عن مؤلف السيرة الشامية محمد بن يوسف الصالحى الحافظ بأسانيده المذكورة فى عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان له •

وذكر ابن حجر أسانيده فى موطأ محمد والآثار له والسير الكبير له فى المعجم المفهرس.

وأما كتاب الموطأ رواية محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة أيضا بالسند إلى ابن طولون عن أم عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم الأرموية مشافهة عن أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادى عن الحجار عن أبى الحسين محمد القطعى كتابة عن ابن البطى عن ابن خيرون وأبى الحسن على بن الحسين بن أيوب قالا أنبأنا أبو طاهر عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب أنبأنا أبو على محمد[1] بن أحمد ابن الحسن الصواف أنبأنا أبو على بشر بن موسى بن صالح الأسدى أنبأنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران النسائى أنبأنا به محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله.

وأما الكتب الستة له أعنى الجامع الصغير والجامع الكبير والسير الصغير والسير الكبير والمبسوط والزيادات فانى أرويها بعموم الاجازة أيضا بالسند إلى صالح الجنينى عن الحسن العجيمى عن عبد الفتاح الخاص عن محمد بن عبد القادر النحريرى عن السراج عمر الحانوتى عن محمد بن جرباش عن أبى الخير محمد بن محمد الرومى عن المجد محمد بن محمد بن على الحريرى عن والده عن قوام الدين الاتقانى عن الحسين بن على السغناقى عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخارى عن محمد بن عبد الستار الكردرى عن البرهان صاحب الهداية عن أبى حفص عمر النسفى عن أسعد بن عبد الله الغوبدينى عن أبيه عبد الله بن حمزة عن محمد بن أبى سعيد عن جده يعقوب عن أبى سليمان موسى بن سليمان الجوزجانى عن الامام محمد بن الحسن رحمه الله.

---

(١) سمع منه أبو ذر الهروى موطأ محمد ومنه سمعه أبو الوليد الباجى وبه انتشر موطأ محمد بالمغرب.

وأما رواية السير الكبير بطريق اسمعيل بن توبة خاصة فبالسند إلى صاحب الهداية عن تاج الدين أحمد بن عبد العزيز بن عمر عن شمس الاسلام أبى بكر محمد بن على بن الفضل الزرنجرى عن شمس الأئمة الحلوائى عن أبى على النسفى عن أبى إبراهيم اسحق بن محمد ابن حمدان المهلبى عن أبى محمد الحارثى عن أبى محمد السمنانى عن اسمعيل بن توبة القزوينى المؤدب عن الامام أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه وأدام تسلسل أسانيد علومه ونفعنا ببركاته .

وفاة محمد بن الحسن رضى الله عنه

كان ميلاد محمد بن الحسن سنة اثنتين وثلاثين ومائة كما نص عليه ابن أبى العوام وابن سعد والخطيب وغيرهم وسها من قال سنة خمس كما سبق وأما وفاته فكانت سنة تسع وثمانين ومائة باتفاق بين ابن سعد وابن الخياط والخطيب وغلط من قال سنة ثمان كما وقع فى ابن أبى العوام . قال أبو عبد الله الصيمرى أخبرنا المرزبانى ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوى : مات محمد بن الحسن والكسائى بالرى سنة تسع وثمانين ومائة فقال الرشيد دفنت الفقه والعربية بالرى . وسبق أنه قيل مات محمد ثم الكسائى بعده بيومين وقيل ماتا فى يوم واحد والله أعلم وفى مناقب الكردرى أن أبا الحسن على ابن موسى القمى ذكر أن محمد بن الحسن دفن بجبل (طبرك) محركة قلعة بالرى بقرب دار هشام بن عبيد الله الرازى لأنه كان نازلا عليه ، والكسائى بقرية (رنبوية) وبينهما أربعة فراسخ وكان معسكر الرشيد أربعة فراسخ نزل الامام محمد فى جانب والامام الكسائى فى جانب أ هـ وذلك حينما خرج الرشيد الى مقاتلة رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند ، وذكر الذهبى فى جزئه عن يونس بن عبد الأعلى عن على بن معبد عن الرجل الرازى الذى مات محمد بن الحسن فى بيته (وهو هشام بن عبيد الله) قال حضرت محمداً وهو يموت فبكى فقلت له :

أتبكى مع العلم • فقال لى : أرأيت إن أوقفنى الله تعالى فقال يا محمد ما أقدمك الرى الجهاد فى سبيلى أم ابتغاء مرضاتى ؟• ماذا أقول ؟ ثم مات رحمه الله أ هـ • وقال الصيمري أخبرنا عمر بن إبراهيم ثنا مكرم ثنا محمد بن عبد السلام حدثنى سليمان بن داود بن كثير الباهلى وعبد الوهاب بن عيسى قالا حدثنا (أحمد بن) محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى قال رأيت محمد بن الحسن فى المنام فقلت له ما صنع بك ربك ؟ قال أدخلنى الجنة وقال لى لم أصيرك وعاء للعلم وأنا أريد أن أعذبك • قال قلت فأبو يوسف قال ذاك فوقى أو فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة • قال : ذاك فى أعلى عليين أ هـ • وقال ابن أبى العوام الحافظ : حدثنى محمد بن أحمد بن حماد قال حدثنى أحمد بن القاسم البرتى قال حدثنا أبو على أحمد بن محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى يقول : أريت محمد بن الحسن فى المنام فقلت إلى م صرت ؟ قال غفر لى قلت بم ؟• قال قال لم تجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نغفر لك قال قلت فما فعل أبو يوسف قال فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة قال : فى أعلى عليين أ هـ • ولفظ الخطيب قريب من هذا إلا أنه يرويه بطريق ابن المغلس عن سليمان بن أبى شيخ عن ابن أبى رجاء عن مخمويه أحد الأبدال والله أعلم •

أغدق الله على ضريحه سجال رحمته ورضوانه ونفعنا بعلومه بمنه وكرمه انه قريب مجيب • وأخرج الصيمرى عن المرزبانى عن أبى بكر (بن دريد) عن سعيد السكرى قال أنشدنى اسمعيل بن أبى محمد يحى بن المبارك اليزيدى عن أبيه أنه أنشد يرثى محمد بن الحسن والكسائى :

تصرمت الدنيا فليس خلود وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرىء منامن الموت منهل فليس له إلا عليه ورود
ألم ترشيبا شاملا يبدر البلى وأن الشباب الغض ليس يعود

سيأتيك ما أفنى القرون التى مضت فكن مستعداً فالفناء عتيد
أسيت على قاضى القضاة محمد فذرفت دمعى والفؤاد عميد
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا؟ بايضاحه يوما وأنت فقيد
وأقلقنى موت الكسائى بعده وكادت بى الأرض الفضاء تميد
وأذهلنى عن كل عيش ولذة وأرق عينى والعيون هجود
هما عالمانا أوديا وتخرما فما لهما فى العالمين نديد
فحزنى متى تخطر على القلب خطرة بذكرهما حتى الممات جديد

وذكر مثل ذلك ابن عبد البر فى الانتقاء ويعزى إلى الرشيد أنه أنشد :

أسيت على قاضى القضاة محمد فذرفت دمعى والفؤاد عميد

الأبيات فلعله تمثل بأبيات اليزيدى . انتهى ما أردنا ذكره فى هذه العجالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بيد الفقير إليه سبحانه محمد زاهد بن الحسن الكوثرى
عفى عنهما عصر يوم الخميس تاسع صفر الخير
من سنة خمس وخمسين وثلثمائة وألف

اسم الموضوع	رقم الصفحة

اسم الموضوع	رقم الصفحة

رقم الايداع ٩٧/٣٧٦٦

الترقيم الدولى ٦٩٥ ـ ٥١٦٥ ـ ٩٧٧

دار التوفيق النموذجية للطباعة

ت ٩٢٥٢٠٤

الأزهر ، ٣ [illegible]



